وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

الحكم المستنصر ودوره في تاريخ الدولة الأموية في الأندلس

(302-366هـ/914-976م).

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

اعداد الطالب:

سفيان بدوي

محمد بابي

اشراف الاستاذ:

د/ طاهر بن علي

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
د/ محمد تكيالين	جامعة غرداية	رئيسا
د/ طاهر بن علي	جامعة غرداية	مشرفا مقررا
د/ بكير بوعروة	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: 1439-1440 هـ/ 2018-2019م

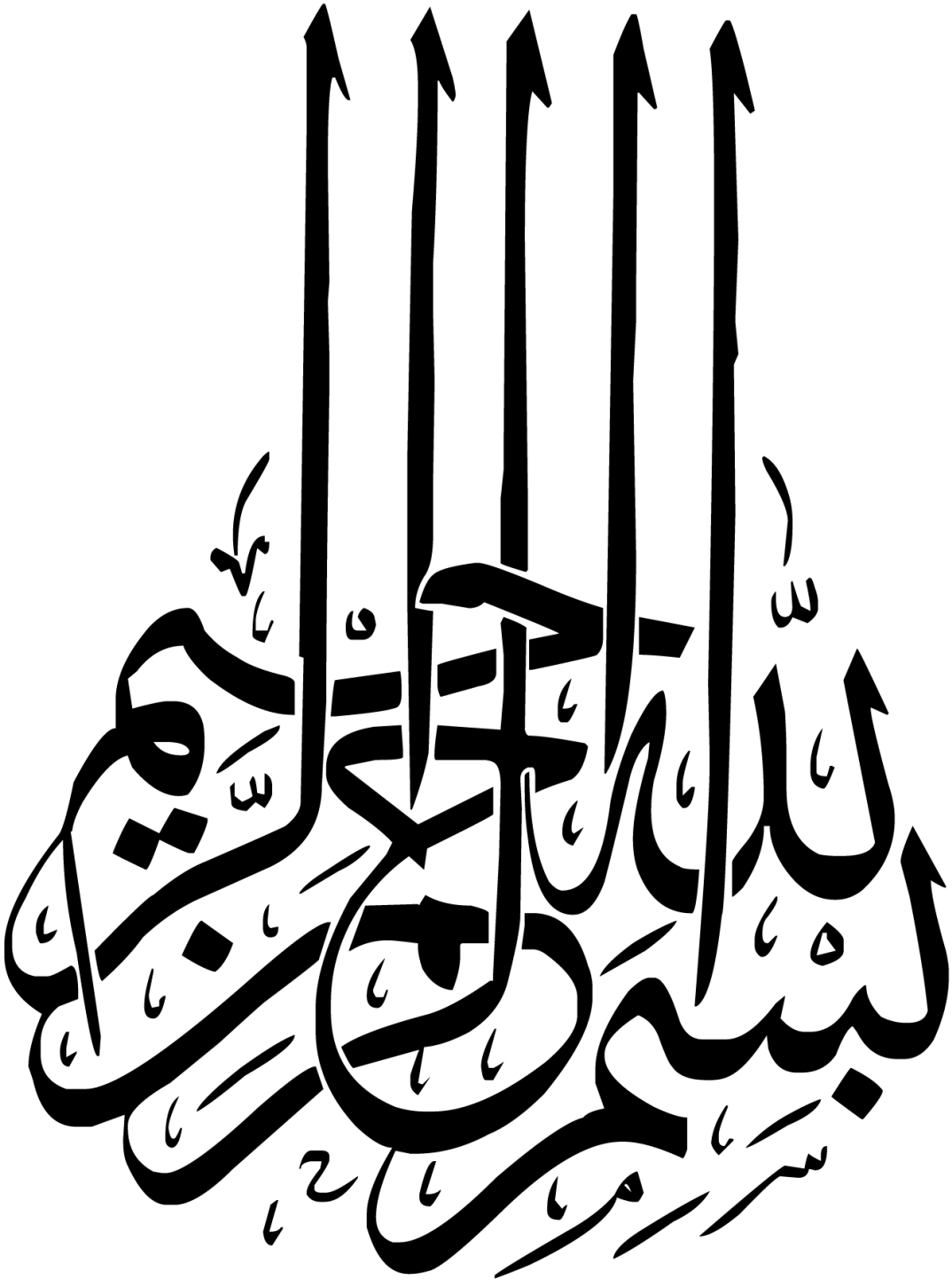
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من قال فيها المولى عزّ وجل: ﴿ وَوَصّينَا الإِنسَان بِوَالِدِيه حَمَلَتهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهن وَفِصَالُهُ فِي عَامَين أَنْ اشكُر لِي وَلِوَالِدِيك وإِليّ المصِير ﴾

إلى من قال فيها الرسول الكريم: أمّك، ثم أمّك، ثم أمّك

إلى نبض روحي **أمّي العزيزة**

كما أهدي هذا الجهد إلى معلّمي الأوّل، سيدّي ووليّ نعمتي **أبي العزيز**...

وإلى **إخوتي وأخواتي** كلّ واحد باسمه

وإلى**العائلة الكريمة**

و كلّ **الأحباب والخلّان** الذين حفروا أسمائهم في قلبي

إلى أعضاء **نادي الفكر التاريخي** الذي احتواني طيلة هذه الفترة

بابي محمد

إهداء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة على أشرف المرسلين، فبالرغم من الصعوبات التي مررنا بها تمّ ختم مشوار دراستنا فالحمد لله على كلّ حال. أهدي ثمرة هذا الجهد إلى أهلي وبالأخصّ إلى من ساندني ووقف على جمر من أجل نجاحي وتفوّقي والدي الحاج عبد السلام، ونبع الحنان والدتي التي سهرت ليالي ولم تتركني ولو لحظة بالدعاء والاعتناء المفرط أدام الله في عمرهما. ولا أنسى إخوتي الأعزاء الذين ساندوني. كما أتمنّى النجاح لأخي علاء الدين في امتحان شهادة البكالوريا. ولا أنسى أختي خولة شفاها الله. كما لا أنسى صغار بيتنا عبد الباقي ومريم وفارس وصهيب. .

سفيان بدوي

شكر وعرفان

الحمد لله على تمام فضله وإكرامه، وعلى سابغ إحسانه وإنعامه، وهو الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وببركة عونه تتكامل الأعمال والحسنات، وهو ذو الجلال والإكرام، وذو الطول والإنعام، فله الحمد واجبا، وله الدين واصبا..

من لم يشكر النَّاس لم يشكر الله... ومن هذا الباب أتقدّم بالشكر الجزيل وبشتّى عبارات التقدير والتبجيل إلى من كان لي أبا مؤدّبا، وشيخا معلّما، وهو أستاذي المشرف على مذكرتي: **د/طاهر بن علي**، الذي كان لي بمثابة النجم الذي أنار لي طريق المعرفة، من خلال توجيهاته وتصويباته الدقيقة، وحرصه على تبسيط المفاهيم من خلال منهج سهل وبسيط.

فله كلّ التقدير والامتنان

وبهذه المناسبة أيضا أشكر كلّ **الأساتذة الجامعيين** الذين درّسوني خلال هذه الفترة لمدّة عامين، وأسأل الله لهم التوفيق والنجاح في تأدية رسالتهم النبيلة

كما لا يفوتني أن أتقدّم بالشكر الجزيل إلى زميلي في المذكرة **بدوي سفيان**، وصبره على مشاقّ البحث وتكبّده عناء السفر من أجل اتمام هذا العمل

وأشكر أيضا كلّ **الزملاء** الذين أعانوني وساعدوني وعملوا على شحذ همّتي بالكلمة الطيّبة وسداد الرأي.

بابي محمد

شكر وعرفان

أوّلا وقبل كلّ شيء أحمد الله عز وجل على إتمام هذا العمل وأوجّه شكري الجزيل لكلّ من علمني حرفا من أساتذتنا ودكاترتنا في الجامعة تخصّص تاريخ الغرب الإسلامي، وخاصّة أستاذنا المشرف الدكتور طاهر بن علي الذي كان حازما ومخلصا في مهمّة الإشراف وأمدّنا بكلّ النصائح والتوجيهات أدام الله في عمره. كما أشكر أيضا زميلي في المذكرة بابي محمّد الذي كان خير زميل وصديق. كما أشكر زملاء الدفعة ،الأنصاري وعبد القادر وغيرهم. كما أشكر زملائي في العمل.

بدوي سفيان

قائمة المختصرات

قائــمة المختــصرات:

الرمز	الشرح
عص	عصر
إ ش	اشراف
تح	تحقيق
تع	تعليق
تص	تصحيح
تر	ترجمة
شر	شرح
مر	مراجعة
قس	قسم
د,ط	دون طبعة
د،ت،ط	دون تاريخ طبع
د،م،ط	دون مكان طبع

المقدمة

يعتبر الغرب الإسلامي في العصور الوسطى مجالا خصبا للبحوث التَّاريخية، فقد ضمَّ منذ فترة الفتوحات الإسلامية إلى سقوط غرناطة العديد من الدول والمجتمعات التي شكَّلت فيه حضارة إسلامية ذات طابع خاص، كما كانت لكلِّ دولة خصوصيَّتها التِّي تميُّزها عن باقي الدَّول، وتحتوي جغرافية الغرب الإسلامي على عدوتين، وهما العدوة المغربية والأندلسية، هذه الأخيرة التِّي دام فيها الحكم الإسلامي ثمانية قرون الكاملة عرفت فيها العدوة الأندلسية عصورا مختلفة.

ولعل أشهرها ذكرا وأطولها عمرا هي الدَّولة الأموية الإسلامية فقد كانت حافلة بالإنجازات العظيمة في مختلف المجالات والأصعدة رغم ما صحبها من نزاعات سياسية بين مختلف الأطياف التي سكنتها، وقد عمل بعض المتحاملين عليها للتَّرويج إلى هذا الجانب من التَّاريخ، إلا أن المتعمِّق في جوانب هذه الحضارة سيجد الكثير من الحقائق التَّاريخية المنصفة التي تشهد على وجودها وازدهار حضارتها.

إنَّ هذه الفترة من التَّاريخ الأندلسي جديرة بالدِّراسة، فهي تحتاج لجهود الباحثين والمؤرخين لكشف أسرارها والاستفادة من علومها، وخاصة أن الأندلس بلغت فيها عصرها الَّذهبي، وشهدت بروز عدَّة شخصيات نبغت في مجال الأدب والسِّياسية والفلسفة ومختلف العلوم الأخرى، ومن أبرز هذه الشَّخصيات نجد الحكم المستنصر بالله سابع الحكام الأمويين في الأندلس، فقد كان متميِّزا في مجال السِّياسة والعلم في آن واحد وتمكَّن من تشكيل دولة متماسكة جعل منها أقوى دولة "قروسطية" (القرون الوسطى) في منطقة البحر المتوسط آنذاك، حتى أصبحت الدُّول المجاورة تسعى لتودُّد إليه والوقوف إلى صفه، حفاظا على كيانها وقضاء مصالحها، وهذا دليل واضح على تطوَّر الحياة السِّياسية بها، أما بالنَّسبة للجانب الحضاري فقد شهدت فترته ظهور كوكبة من العلماء سطع نجمهم في سمائها، فبلغت الأندلس بهم أسمى مراتب النَّشاط الفكري الذي انتشر اشعاعه في مشارق الأرض ومغاربها، وقد شارك الحكم المستنصر بنفسه في هذه النَّهضة العلمية في عصره.

وللوقوف على إنجازات هذا الخليفة الأموي قمنا بإنجاز هذه المذكرة الموسومة بعنوان:

الحكم المستنصر ودوره في تاريخ الدَّولة الأموية في الأندلس (302-366هـ/914-976م).

حدود الدراسة: تنحصر دراستنا هذه في إطار زماني ومكاني:

الإطار الزماني: تمتد فترة حكم المستنصر بالله من (302-366هـ/914- 976م)، وهي من بداية بيعته وتقلده منصب الخلافة إلى حين وفاته.

الإطار المكاني: العدوة الأندلسية.

أسباب اختيار الموضوع:وتتمثّل في:

الأسباب الموضوعية:

1. كسب الخبرة في دراسة تاريخ الغرب الإسلامي.
2. التَّعمُّق في جزئيات تاريخ الغرب الإسلامي، ومحاولة معرفة دقائقها.
3. محاولة معرفة الظروف التَّاريخية التي برزت فيها شخصية الحكم المستنصر بالله. .
4. توضيح وتحليل الأحداث والوقائع التَّاريخية التي أسهم فيها الحكم المستنصر بالله وتأثيراته فيها، من أجل الوصول إلى ملامح شخصيته.

الأسباب الذاتية:

1. الميول الذَّاتي لدراسة التَّاريخ الأندلسي، وخاصَّة عصر الدَّولة الأموية بالأندلس.
2. استقصاء المعرفة التأَّريخية الخاصّة بتخصُّص تاريخ الغرب الإسلامي.
3. إعجابنا بشخصية الحكم المستنصر بالله التي لطالما سمعنا عنها في المحاضرات التي كانت تعقد خلال الدروس الأكاديمية في مشوارنا الدّراسي، كما قرأنا حولها في دفات الكتب، فأردنا التعرُّف عليها عن كثب من خلال دراسة أكاديمية تستقصي المادَّة من المصادر والتَّحليل من المراجع، للوقوف على الحقائق في حياتها ودورها ضمن تاريخ الدَّولة الأمويَّة الأندلسية.

إشكالية الدراسة:

تحاول دراستنا أن تقوم بحثا أكاديميا يحاول الإجابة على الإشكالية التالية:

ما هي ملامح شخصية الحكم المستنصر بالله،

وما هو دورها في الدولة الأموية في الأندلس؟

وتحاول الدَّراسة الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية:

1. ماهي الظَّروف التي نشأ فيها الحكم المستنصر؟ وما تأثيراتها على شخصيته؟

2. ماهي جهود الحكم المستنصر في المحافظة على استقرار دولته؟ وما أبرز الوسائل والطُّرق التي استعملها لذلك؟
3. كيف حافظ الحكم على مكانة وهيبة الأندلس على مستوى العلاقات السياسية مع الدُّول المجاورة؟
4. ماهي إسهامات الحكم المستنصر على الصَّعيد الحضاري؟

وللإجابة عن هاته الإشكالات المطروحة حول موضوع دراستنا اتبعنا الخطَّة التَّالية، والتي قسمناها إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق.

أما**الفصل الأول** فكان تحت عنوان الخلافة الأموية في الأندلس حين تولِّي الحكم المستنصر، وينقسم إلى ثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: وهو بعنوان اتِّخاذ عبد الرَّحمان النَّاصر لقب الخلافة الذي تطرَّقنا فيه إلى إعلان عبد الرَّحمان النَّاصر للخلافة في الأندلس، وكان ذلك بمثابة عهد جديد بمعايير مختلفة، وتعرضنا فيه إلى الأسباب التي جعلته يتَّخذ هذا القرار.

أما**المبحث الثاني**:وهو بعنوان أوضاع الأندلس في عهد النَّاصر لدين الله، فقد تحدثنا فيه عن الظُّروف السَّائدة في الأندلس قبيل تولِّي الحكم المستنصر الخلافة، وذلك على المستوى الدَّاخلي والخارجي.

و**المبحث الثالث**: وهو بعنوان سيرة الحكم المستنصر بالله، الذي تطرَّقنا فيه إلى بطاقة تعريفية تحمل المعلومات الخاصة بالحكم المستنصر، من ميلاده ونسبه، إلى ظروف نشأته، ثم تاريخ وفاته.

أما**المبحث الرابع**: جاء بعنوان الحكم المستنصر بالله ومنصب الخلافة، تحدثنا فيه حول كيفية تولي الحكم منصب ولاية العهد الممهد لمنصب الخلافة، بالإضافة إلى مراسيم بيعة الخليفة الجديد، في القصر والبيعة العامَّة التي خصَّ بها كافة الأقاليم.

أما**الفصل الثاني**:فقد جاء بعنوان دور الحكم المستنصر بالله السياسي وقد قسُّم إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: وهو بعنوان سياسة الحكم المستنصر بالله الدَّاخلية، حيث تحدثنا فيها عن تعامله مع رعيته، وماهي الإجراءات التي اتَّخذها لإصلاح أحوالهم، كما تحدثنا فيه أيضا حول ترتيبه لجهاز الدولة الذي تقوم عليه البلاد.

المبحث الثاني: وهذا الأخير تحت عنوان سياسة الحكم المستنصر تجاه العالم المسيحي، وتحدثنا فيه عن علاقاته مع الدُّول الأوروبية النَّصرانية وماهي ابرز مظاهر الود والحرب بينهما.

المبحث الثالث: وهو بعنوان سياسة الحكم المستنصر تجاه العالم الإسلامي، تحدَّثنا فيه عن العلاقة التي تربطه بالعدوة المغربية الإسلامية، وكيفية وقوفه أمام الخطر الشِّيعي، وكيف استطاع من خلاله استرجاع الأراضي التي كانت تحت حكم أبيه، وتحدثنا أيضا حول أسلوبه في كسب أنصار له في العدوة.

أما**الفصل الثالث**: فكان بعنوان دور الحكم المستنصر بالله الحضاري، وقد قسَّمناه إلى أربع مباحث:

المبحث الأول: بعنوان شخصية الحكم المستنصر العلمية، تحدَّثنا فيه عن الشَّخصية الفذَّة التي اتَّصف بها الحكم عن بقية أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس، ووقفنا عند مكانته العلمية، وأبرزنا أهمَّ أساتذته، ومؤلفاته، ومواقفه الفقهية، وما هي كتاباته الأدبية.

المبحث الثاني: تحت عنوان تشجيعه للحركة العلمية في الأندلس، تحدَّثنا فيه عن مدى تشجيع الحكم المستنصر بالله للحركة العلمية والفكرية في الأندلس من خلال استقدامه للعلماء، وتشجيعه للتَّأليف في التُّراث الإسلامي، وترجمة الكتب الأجنبية.

المبحث الثالث: الموسوم بعنوان المراكز التَّعليمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر بالله، الذي تحدَّثنا فيه عن أهم دور التَّعليم التي كانت تنشر الإشعاع العلمي والحضاري في الأندلس، كالمساجد، وجامعة قرطبة ومكتبتها، ومراكز أخرى

المبحث الرابع: وهو بعنوان دوره في الجانب العمراني، وتحدثنا فيه عن جهوده في توسيع وتزيين المسجد الجامع بقرطبة، وتشييد القناطر، ووقفنا على وسط بعض المنشآت العمرانية في عصره كالقصر الغربي لمدينة الزهراء.

خاتمة: قمنا من خلالها بمحاولة الإجابة على الأسئلة المطروحة،واستنباط أهم النَّتائج المتحصَّل عليها من خلال هذه الدِّراسة المتواضعة، وعلى ما توفَّر لنا من مادة علمية.

وتلت هذه الخاتمة مجموعة من الملاحق تضمُّ مجموعة من الصُّور والخرائط.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمِّية هذه الدِّراسة في أنّها تقف على شخصيَّة الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله، كما أنها تبرز دوره في تطوير الدَّولة من النَّاحية السِّياسية على الصَّعيد الدَّاخلي والخارجي، كما تسعى للوقوف على جهوده في تطوير الحضارة الأندلسية المادِّية والمعنوية منها. كلّ ذلك من خلال منظور الباحثين من جامعة غرداية، الذين يسعون إلى اكتساب المعرفة والمهارة المنهجية في تناول المواضيع، وتطبيق الخبرات المكتسبة من دروس أساتذتها الأفاضل في مشاريع بحوث.

أهداف الدراسة:

1. الوقوف على مآثر المسلمين في بلاد الغرب الإسلامي.
2. تمييز الشَّخصية الإسلامية في بلاد الأندلس، ومعرفة خصوصياتها الذَّاتية والتَّاريخية.
3. تحفيز الهمم لدى الباحثين إلى دراسة الشَّخصية السِّياسية والعلمية في بلاد الغرب الإسلامي.
4. تخصيص دراسة معمَّقة عن الشَّخصيات الحاكمة المثقّفة.
5. التَّأريخ لإنجازات الحكم المستنصر السِّياسية والحضارية.
6. إثراء مكتبة قسم التاريخ بدراسة متخصَّصة عن الشَّخصيات السِّياسية والعلمية في الغرب الإسلامي.

الدراسات السابقة:

في سبيل بحثنا عن مادّة دراستنا ألفينا عدَّة أبحاث تطرَّقت إلى هذا الموضوع، وهي:

رسالة ماجستير تحت عنوان: **الخليفة الأموي الحكم المستنصر(358-366هـ)** لوفاء عبد الله بن سليمان المزروع، التي تناولت فيها كيف تولّى الحكم المستنصر بالله الخلافة. وتطرّقت إلى جهاده ضدَّ الممالك النصرانية والنَّورمان. وتحدَّثت حول صراع الحكم مع العبيديين من أجل النُّفوذ والسُّلطة على العدوة المغربية. ودرست كذلك الحياة العلمية والفكرية في عصره.

رسالة ماستر بعنوان: **الدور السياسي والحضاري للخليفة الحكم المستنصر بالله (350-366هـ/961-976م)**، لعبد القادر بن علي. تطرَّق فيها إلى الدور السِّياسي للحكم المستنصر بالله على الصعيد الدَّاخلي والخارجي. وتحدَّث عن جهوده للدِّفاع عن دولته. كما ركَّز في دراسته حول دور الحكم المستنصر في المجال العلمي. ثمَّ درس دوره في الجانب العمراني والاقتصادي كالزِّراعة والصِّناعة والتِّجارة.

رسالة ماستر بعنوان: **الحياة العلمية في عهد الحكم المستنصر بالله(350-366هـ/961-976م)** لمسوسة فاطمة الزهراء. تحدَّثت فيها عن مولده ونشأته، وكيفية تولِّيه الخلافة في الدَّولة الأموية. وركَّزت في دراستها على الحياة العلمية في عهد الحكم المستنصر؛ المنشآت الحضارية والتعليمية التي كانت في عهده.

المناهج المتّبعة:

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التَّاريخي، والمنهج الوصفي، وذلك من خلال وصف الوقائع والمعارك، والمنشآت العمرانية، واستعملنا كذلك المنهج الإحصائي من أجل إحصاء بعض الأعلام والتَّراجم. كما اعتمدنا كذلك على المنهج المقارن حيث قمنا بالمقارنة بين الخليفة المأمون والحكم المستنصر فيما يخصُّ الحركة العلمية في حكمهما.

دراسة نقدية للمصادر والمراجع:

المصادر:

1. **المقتبس في اخبار بلد الأندلس:** لابن حيان القرطبي الذي حقّقه عبد الرحمان علي حجي. يعدّ هذا الكتاب من أقرب المصادر لزمن الحكم المستنصر ممّا يجعله أكثر مصداقية ومصدرا لغيره من المؤرّخين. وقد أفادنا في كثير من المواضع، حيث تضمّن ذكر العلاقات التي كانت بين العدوة الأندلسية والعدوة المغربية، وذكر الوفود التي كانت تتوافد إليه من أوروبا والمغرب. واعتمدنا عليه في تناول أحداث الهجومات النورمانية على الأندلس، وعلاقته مع الحسن بن قنون. كما ضمّ العديد من الأشعار التي تمدح الحكم وتمجّده. كما نجد ابن حيان ينقل أخباره من مؤرّخ الحكم المستنصر وهو عيسى الرازي.

2. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:** لصاحبه المقّري التلمساني. يتضمّن هذا الكتاب العديد من المعلومات الثرية حول الحياة العامّة في الأندلس، من فترة الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة. وقد أفادنا هذا الكتاب بمعلومات عندما تحدّث مؤلفه عن فترة خلافة الحكم المستنصر، وعرَّف به ذاكرا نسبه ومولده. كما تعرّض إلى حياة الحكم خلال تولّيه منصب ولاية العهد، وتعامله واحتكاكه بأبيه. وتحدّث أيضا عن جهاده ضدّ الممالك النصرانية، وتطرّق لجوانب للحياة الحضارية في عهده.
3. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:** لصاحب ابن عذارى المراكشي، يعدّ هذا الكتاب من أهمّ المصادر التي تتحدّث عن تاريخ الأندلس بنوع من الدقة والتفصيل. فلا يكاد يخلو مشروع بحثي يتناول تاريخ الأندلس من الإفادة منه. أفادنا كثيرا بمعلومات تاريخية حول ظروف الأندلس قبل تولّي الحكم المستنصر. إضافة إلى مرحلة نشأته في عهد أبيه الناصر. كما تحدّث عن الحياة السياسية في عهده، سواء على الصعيد الداخلي كسياسة الحكم المستنصر مع رعيته، أو على الصعيد الخارجي حيث تحدّث عن علاقته بالعدوة المغربية، من مواقفه مع قبائل البربر والأدارسة إلى صراعه مع العبيديين. ومنه أفدنا خبر اعتناء المستنصر بتوسيع المسجد الجامع بقرطبة.
4. **تاريخ ابن خلدون المسمى بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر:** لصاحبه عبد الرحمان بن خلدون، حيث ضمّ هذا الكتاب العديد من الوقائع والأحداث، فقد أفادنا بمعلومات حول اتّخاذ الناصر لقب الخلافة، وظروف نشأة الحكم وموقفه مع أخيه تجاه منصب ولاية العهد. كما تطرّق إلى جهاده ضدّ الممالك النصرانية. إضافة إلى معلومات عن شخصية الحكم وإسهامه في الجانب الحضاري.
5. **الحلّة السيراء، والتكملة لكتاب الصلة:** لصاحبهما ابن الأبار، تحتوي كتبه على العديد من التراجم للعلماء الذين عاشوا في عهد الحكم المستنصر. كما أنّ كتاب الحلّة السيراء يعدّ من الكتب الزاخرة بمعلومات حول الشعر والأدب، والتاريخ في الأندلس. وقد أفادنا في ترجمة الخليفة الناصر، وابنه الحكم، وبعض العلماء الذين عاصروهم.

6. **تاريخ علماء الأندلس:** لصاحبه ابن الفرضي، يعدّ هذا الكتاب من الكتب الزاخرة بالعديد من التراجم والعلماء والشخصيات البارزة التي عاشت في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع، وقد وجدنا فيه ضالّتنا بخصوص هذا الشأن.
7. **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس:** لصاحبه أحمد بن يحي المعروف بالضبّي، ويضمّ مؤلّفه هذا على 750 ترجمة عاشت في الدولة الأموية، وكلّ من وفد إليها من علماء وفقهاء وأدباء في تلك الفترة. كما أحاط بجوانب من الحياة الفكرية والعلمية بها.

المراجع:

1. **دولة الإسلام في الأندلس:** لصاحبه محمد عبد الله عنان: يعتبر هذا الكتاب من ابرز الكتب المتخصصة في تاريخ الأندلس على وجه الخصوص، من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، حيث يدرس فيه كل ما يخص الحياة السياسية والحضارية لكل عصور الأندلس، وقد استعملنا هذا الكتاب في كل فصول المذكرة، سواء في الجانب السياسي أو الحضاري، نظرا للمعلومات التي يحتوي عليها، فعلى سبيل المثال، أفادنا هذا الكتب في العلاقات الخارجية للحكم المستنصر مع الدول الأوربية والإسلامية.
2. **الكتب والمكتبات في الأندلس:** لصاحبه حامد الشافعي الدياب، أفادنا هذا الكتاب في المعلومات التي يحتويها التي تتحدث عن حب الحكم المستنصر للكتب واعتنائه بها، واهتمامه بمكتبة القصر وحرصه على إثرائها بنوادر المؤلفات، وكذلك عن المكتبات الخاصة التي وجدت في الأندلس في عهد الحكم المستنصر.
3. **القصور والمساجد في الأندلس:** لمؤلفه سالم السيد عبد العزيز، هذا الكتاب اهتم بالجانب العمراني في الأندلس، ووضح الجانب الجمالي والحس الإبداعي لأهل الأندلس فيه، وقد أفادنا هذا الكتاب في الوقوف على زيادة الحكم المستنصر لمسجد قرطبة، وزودنا بالمعلومات الأثرية الموجودة فيه.
4. **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس:** لمؤلفه سالم عبد الله الخلف، يعد هذا الكتاب المتخصص في الخطط الحربية والإدارية والدينية والمالية والسياسية في الأندلس،

وقد أفادنا كثيرا في تعرف على التنظيم الإداري لدولة الحكم المستنصر بالله، مضيفا إلى ذلك أبرز الشخصيات التي شغلت المناصب الإدارية في هذه الفترة.

5. **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال:** لمؤلفه محمد عبد الله عنان، وهو عبارة عن كتاب أثري يحتوي على كل المعالم التي خلفتها الحضارة الإسلامية في الأندلس، فقد أفادنا في معلومات تخص زيادة الحكم المستنصر للمسجد الجامع بقرطبة، وقصر الزهراء بها.
6. **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس:** لصاحبه سالم السيد عبد العزيز، يهتم هذا الكتاب بعاصمة الدولة الأموية قرطبة، فيذكر تاريخها من الفتح إلى سقوط الخلافة في عهد المنصور بن أبي العامر، ويذكر معالمها الجليلة، ويهتم بجانبها العلمي والعمراني، وقد أفادنا هذا الكتاب بمعلومات حول المسجد الجامع، وقصر الزهراء، كما تطرق إلى الحركة العلمية بقرطبة في عهد الحكم المستنصر.
7. **سفارات الأندلس إلى ممالكأوروبا المسيحية الكاثوليكية:** لصاحبه ابراهيم محمد آل مصطفى، وقد تحدث عن السفارات والوفود التي شهدتها الأندلس، والتي قدمت من أوروبا المسيحية، واقفا على أهم الأسباب التي أدت لحدوث هذا النوع من العلاقات بين الطرفين، وقد أفادنا هذا الكتاب في معرفة السفارات الوافدة على الأندلس في عهد الخليفة الناصر وابنه الحكم المستنصر، كسفارة أتو الأول والملك شانجة، وغيرها من الوفود التي كانت تعلن ولاءها وخضوعاها للدولة الأموية آنذاك.
8. **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية:** لصاحبته سامية مصطفى مسعد، وقد تطرق هذا الكتاب إلى العلاقات السياسية الودية والحربية منها التي تجمع بين عدوتي المغرب والأندلس في عهد الخلافة، وقد أفادنا هذا الأخير في الوقوف على التوتر القائم بين الخلافة العبيدية والأموية في الأندلس، ومحاولتهما جاهدا كسب العديد من القبائل والأنصار المحالفين لهم، كما أفادنا بمعلومات حول جهود المستنصر في استرجاع نفوذه في المغرب الأقصى من خلال مقاومته للثائر حسن بن قنون الإدريسي.

صعوبات البحث:

الوضع الحالي الذي تمرّ به الجزائر المتمثّل في عام الحراك، حيث أثّرت المسيرات والإضرابات التي حدثت على مستوى جلّ الجامعات الجزائرية سلبا على سيرورة الدروس والمشاريع البحثية بها. وقد شكّل لنا هذا الوضع صعوبة في الاستفادة من الكتب الموجودة على مستوى المكتبة الخاصّة بالقطب. إضافة إلى العطلة الاستثنائية التي فرضتها الوزارة على الطلّاب، التي شكّلت عائقا في التواصل مع المشرف والاستفادة من خبراته.

- التأخّر في الموافقة على مواضيع المذكرات، حيث أنّه لا يمكن للطالب مباشرة بحثه إلّا بعد ثبوت صحّة موضوعه من الإدارة في إعلان رسمي.
- صعوبة الاستفادة من المصادر الأجنبية على اختلاف لغاتها كالإسبانية الإنجليزية وذلك للجهل بها.
- قلّة المراجع المتخصّصة في بعض مواضيع المذكّرة المدروسة، كالمراجع التي تتحدّث عن النظم والخطط في عهد الحكم المستنصر.
- تكرار المادّة العلمية في بعض المراجع حتّى تخالها معلومات منقولة حرفيا.

الفصل الأول: أوضاع الخلافة الأموية في الأندلس حين وتولّي الحكم المستنصر بالله.

- المبحث الأول: اتِّخاذ عبد الرَّحمان النَّاصر لقب الخلافة.
- المبحث الثاني: أوضاع الأندلس في عهد الناصر لدين الله
- المبحث الثالث: سيرة الحكم المستنصر بالله.
- المبحث الرَّابع: الحكم المستنصر بالله ومنصب الخلافة.

المبحث الأول: اتِّخاذ عبد الرَّحمان النَّاصر لقب الخلافة:

تقلَّد عبد الرَّحمان النَّاصر[1] الحكم سنة 300هـ/911م[2] وقد مرَّت الدولة الاندلسية في فترة حكمه بمرحلتين الأولى كانت عبارة عن إمارة الأموية المستقلة والتي دامت ستة عشر (16) عاما، أما الثَّانية فتسميَّ بعهد الخلافة، حيث دخلت الأندلس تحت ظلِّ عهد جديد[3] سنة 316هـ/927م وبقيت مستمرَّة إلى آخر عهد حكم الأمويين الأندلس حيث اتخذ النَّاصر لقب أمير المؤمنين فكان بذلك أوَّل حاكم أموي على الأندلس يفعل ذلك، ثمَّ اقتفى أثره من بعده ابنه الحكم المستنصر بالله.[4] وهذا ما لم يفعله أجداده من قبله لأن شروط الخلافة لم تتوفر فيهم آنذاك[5] ولكن الله قد يسَّر للناصر الظروف الملائمة واخذه هو بالأسباب ليصبح خليفة على المسلمين ولعل من أبرزها:

1. ضعف الخلافة العباسية بالمشرق وتدهور أوضاعها وانتشار الفوضى في أيام المقتدر بالله فقد تولى السُّلطة وهو صغير لم يبلغ الحلم بعد.[6] وتمكُّن موالي التُّرك من السَّيطرة على زمام الأمور.[7]

---

[1] **عبد الرحمان الناصر**: هو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أعظم بني أمية بالمغرب، صاحب الأندلس الملقب بأمير المؤمنين، وهو باني مدينة الزهراء، ودامت دولته 50 سنة، وصاحب الفتوحات الكثيرة، والغزوات المشهورة توفي سنة 350هـ/962م. أنظر ابن الأبار: **الحلة السيراء**، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط1، مصر، القاهرة، 1962م،ج1، ص 197.و الذهبي: **سيـــــر اعلام النبلاء** تر، حسان بن المنان، بيت الأفكار الدولية، د.م.ط، لبنان، بيروت، 2004م، ج2، ص 2228.

[2] ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب**، تح:كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، لبنان بيروت، 1983م، ج2، ص 156.

[3] سلمى الخضراء الجيوسي: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان بيروت، ديسمبر 1998، ج1، ص 86.

[4] ابن الخطيب: **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، ط1 ، لبنان، بيروت، 2002م/1424هـ، ج2، ص 31.

[5] ابن حزم الأندلسي: **رسالة نقط العروس**(**ضمن رسائل ابن حزم**)، تح: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط2، لبنان بيروت، 1987م، ص 194.

[6] مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، بيروت، 2007،ص 204،203 .

[7] محمد عبد الله عنان: **دولة الاسلام في الاندلس**، مكتبة الخانجي، ط4، مصر، القاهرة، 1417هـ-1997م، عص1 قس1، ص 430.

ولم يبق من مظاهر السلطة للخليفة العباسي إلاَّ الخطبة باسمه في المنابر، وضرب السِّكة.[1]

2. ظهور الدَّولة العبيدية بالعدوة المغربية، واشتداد شوكتها، وتوسعها، حتَّى حدود المغرب الأقصى، وأعلنت الخلافة في العدوة المغربية. هذا الأمر شكَّل خطرا على الوجود السُّني بالعدوة، وعلى الأندلس في حدِّ ذاتها.[2]

3. وقيل أنَّ أهل الأندلس هم من أطلق لقب الخلافة على عبد الرحمان النَّاصر مكافأة له وتقديرا على مجهوداته الجبَّارة التي بذلها في إصلاح أحوال البلاد وبعد أن تيقَّنوا أنَّ الدَّولة العباسية قد أوشكت على السُّقوط، وعدم ايمانهم بالخلافة العبيدية التي تعد خلافة باطلة في رأيهم.[3]

أعلن عبد الرَّحمان النَّاصر خلافته يوم الجمعة في مطلع ذو الحجة سنة 316هـ/927م وبعث بوثيقة للقاضي أحمد بن بقي بن مخلد[4] صاحب صلاة الجمعة في مسجد قرطبة يأمره فيها بإعلان الدَّعوة له في خطبة الجمعة وقد أوردها ابن عذاري في كتابه كالآتي:

" بسم الله الرَّحمان الرَّحيم، أمَّا بعد، فإنا أحق النَّاس من استوفى حقَّه، وأجدر من استكمل حظَّه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضلنا الله به وأظهر أثرنا فيه، ورفع سلطاننا اليه، ويسر على أيدينا ادراكه، وسهل بدولتنا مرامه، والذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وعلو أمرنا، وأعلن من رجاء العالمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا، والحمد لله ولي النِّعمة والإنعام بما أنعم به، وأهل الفضل بما تفضَّل علينا فيه، وقد رأينا أن تكون الدَّعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنَّا وورودها علينا بذلك، إذ كلٌّ مدعوا بهذا الإسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومتَّسم بما لا يستحقه. وعلمنا أن التَّمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، وإسم ثابت أسقطناه.

---

[1] سلمى الخضراء الجيوسي: المرجع السابق، ج1، ص 86.

[2] ابن الابار: **الحلَّة السيراء**،ج1،ص 198.

[3] خليل ابراهيم السَّامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان، بيروت ، ص 162.

[4] **أحمد بقي بن مخلد**: يكنى أبا عمر، وقيل هو ابوا عبد الله، قاضي الجماعة بالأندلس، وكان فقيها ومحدثا وعارفا، توفي سنة 324هـ /935م بقرطبة فترة حكم عبد الرحمان الناصر، أنظر الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، مصرن القاهرة، 1410هـ- 1989م، ج1، ص 217.

فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطبتك لنا عليه، إن شاء الله. والله المستعان. وكتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجَّة سنة 316هـ ". كما أرسل كتابا إلى عماله في كور (قرى) ومدن الأندلس يخبرهم فيه بإعلان الخلافة في الخطب والوثائق الرَّسمية وجاء فيه: " ...وقد رأينا أنَّ تكون الدَّعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنَّا وورودها علينا بذلك، إذ كلُّ مدعوٍّ بهذا الاسم غيرنا منتحل له، ودخيل فيه، ومتَّسم بما لا يستحقه. وعلمنا أن التَّمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه، واسم ثابت أسقطناه. فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجر مخاطبتك لنا عليه، إن شاء الله."[1]

وأمر كذلك بإثبات عبارة " النَّاصر لدين الله أمير المؤمنين " في أعلامه وطرازه ودنانيره ودراهمه ونفذ الأمر بذلك.[2]

وهكذا قامت الخلافة الأموية في الأندلس على نظام ملك جديد يتم فيه التَّداول على الحكم على أساس التَّوريث، ويقوم هذا النِّظام الجديد على السِّياسة أوَّلا ثم الدِّين فهو يختلف عن باقي الأنظمة التي كانت قبله فقد كان أكثر ديموقراطية مقارنة بالخلافة العباسية والعبيدية، فالخليفة العباسي يرى نفسه حاكما بتفويض إلاهي، أمَّا الخليفة العبيدي فيعتبر نفسه إماما معصوما من الخطأ، فلا يسأل عمَّا يفعل، فهو المعلم الأكبر الذي ورث العلوم المختلفة عن الرَّسول عن طريق آل بيته.[3]

[1] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 198-199.

[2] أحمد المختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د، ط)، لبنان، بيروت (د،ت،ط)، ص 169.

[3] علي حسين الشطشاط: **تاريخ الاسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (د، ط)، مصر، القاهرة، 2001م، ص 157.

المبحث الثاني: أوضاع الأندلس قبيل مجيء الحكم المستنصر

أ- داخليا:

كانت الأندلس قبيل مجيء الحكم المستنصر بالله تحت حكم أبيه عبد الرحمان النَّاصر، الذي جعل من البلاد مستقرَّة ويقول ابن الخطيب معبِّرا عن اسهام النَّاصر لدين الله في اصلاح أحوال البلاد: "...وولي النَّاصر لدين الله الأمور والأندلس جمرة تحتدم، ونار تضطرم، وقد عظم الشِّقاق والنِّفاق، فسكَّنها بسعده وعزة نقيبته، وكان يشبَّه بعبد الرَّحمان الدَّاخل. ".[1]

وكانت سياسته في القضاء على الثَّورات قائمة على ممارسة اللين والشِّدة وما بين التَّرغيب والتَّرهيب.[2] وقبل أن يبادر بقمع الثورات بالعنف بعث بالكتب والرُّسل إلى جميع عمَّال كور الأندلس يطالبهم بالخضوع والطاعة، فكان أوَّل من استجاب لدعوته السعيد بن السليم صاحب حصن مارتس[3] في كور جيان.[4] أمَّا بالنِّسبة للعصاة منهم فقد وجَّه إليهم جيوشه لإخضاعهم بالقوة، وقد تمكَّن من القضاء على ثورة الفتح بن موسى بن ذي النُّون[5] وهو أحد زعماء ثورة البربر في الأندلس وضمَّ قلعة رباح[6] له بعد معركة وقعت سنة 300هـ/911م.[7]

---

[1] ابن الخطيب: **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، ج2، ص 31

[2] علي حسين الشطشاط: المرجع السابق، ص 152.

[3] **حصن مارتس**: ويسمى مرتش أيضا وهي بلدة حصينة تقع جنوب غربي جيان، أنظر محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص3، قس2، ص 466.

[4] سالم السيد عبد العزيز: **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط) ، مصر، اسكندرية، 1997، ص 280.

[5] **الفتح بن موسى بن ذي النُّون**: وهو من هوارة ذو أصل بربري، وصاحب حصن أقليش (Ucles) بالأندلس، كان أبوه أول من خرج عن حكم الأمويين، وواصل هو العصيان والغارات على طليطلة، ت 303هـ/915م. أنظر خير الدين الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، (د، ط)، لبنان، بيروت، (د، ت، ط)، ج5، ص 134.

[6] **قلعة رباح**: وهي مدينة أندلسية محصنة تقع غربي طليطلة استولى عليها الافرنج منذ 70 سنة او نحوها، انظر ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، ط 2، لبنان، بيروت، 1995م، ج3، ص 23.

[7] سامية مصطفى مسعد: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 2000، ص 20.

كما تمكَّن أيضا من استرداد بطليوس[1] من الثَّائر عبد الرحمان بن عبد الله بن محمَّد الجليقي الذي أقام حكما متوارثا غير مكترث بدولة النَّاصر[2]

حيث خرج له النَّاصر بنفسه في جيش، وحاصر المدينة ثمَّ رجع إلى قرطبة وترك جيشه هناك. وبعد أشهر من الحصار استسلم عبد الرحمان الجليقي ومن معه سنة 318هـ/ 930م. وقد تمكَّن النَّاصر في هذه الحملة من ضم كل من باجة،[3] وأكشونبة،[4] وشنتمرية الغرب،[5]وشلب،[6] التي كانت كانت وقتها تحت حكم خلف حفيد بكر ابن يحي ابن بكر الذي استسلم حفاظا على منصبه.[7]

[1] **بطليوس:** وهي مدينة كبيرة بالأندلس، من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة، ولها عمل واسع يذكر في مواضعه، وينسب إليها خلق كثير أمثال أبو الوليد هشام بن يحي بن حجاج البطليوسي. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج12، ص477.

[2] ابراهيم بيضون: **الدولة العربية في اسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 3، لبنان بيروت، 1406-1986م، ص 284.

[3] **باجة:** وهي من اقدم المدن الأندلسية، بنيت في أيام القياصرة على يد يوليش جاشر وهو من أطلق عليها هذا الاسم والذي يعني يعني بلغة العجم الصلح، ومشهورة بالمنعة والحصانة، وتبعد على قرطبة بقدر مائة فرسخ، انظر الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط 2، لبنان، بيروت، 1980م، ص 75.

[4] **أكشونبة:** وتكتب أكشونية، وهي مدينة بالأندلس تقع غربي قرطبة، يتصل عملها بعمل أشبونة، وفيها خيرات كثيرة برية وبحرية. وبحرية. أنظر لياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 240.

[5] **شنتمرية الغرب:** وتسمى اليوم (faro) وهي البرتغال، أنظر المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** تح: إحسان عباس، دار صادر، (د، ط،) لبنان، بيروت، 1388هـ-1968م، ج1، ص 131.

[6] **شلب:** بكسر الشين أو فتحها، وهي مدينة غربي قرطبة، وهي قاعدة ولاية اشكونية، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس المجد، المجد، أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 357.

[7] محمد سهيل طقوش: **تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، لبنان، بيروت (د،ت،ط) ، ص 314.

أمَّا بالنسبة لثورة بني الحجَّاج في إشبيلية[1] فقد استطاع النَّاصر أن يستميلهم له بعد سنوات من التَّمرد والعصيان وتمكن من كسب ودِّ الثَّائر أحمد بن محمد بن مسلمة بن حجَّاج فسلَّم له المدينة سنة 301هـ/913م بعد حصارها عدة شهور.[2] واستعمل عليها النَّاصر سعيد بن المنذر المعروف "بابن السَّليم"، واستسلم محمد بن ابراهيم بن حجاج صاحب قرمونة[3] هو الآخر في نفس السَّنة. وبنى القصر القديم المعروف بدار الإمارة، وحصنه بصور منيع.[4]

ثمَّ خرج النَّاصر بنفسه في غزوة أخرى تسمَّى بغزوة مويش سنة 308هـ/920م، ولكن هذه المرَّة تجاه مدينة طليطلة[5] لقمع ثورة لب بن طربيشة وهو من زعماء المولَّدين[6]، ولكن هذا الأخير عجز عجز عن الوقوف في وجه النَّاصر فتظاهر بالاستسلام، وبقيَّت المدينة تحت تصرُّفه إلى أن توفَّ فخلفه ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث فعاود النَّاصر إرسال جيش لمحاصرتها سنة 318هـ/930م، وتمكَّن من دخولها بعد عامين من المقاومة وذلك يوم خمس وعشرين (25) رجب 320هـ/932م.[7]

وتعد ثورة ابن حفصون من أشدِّ الثَّورات التي مرَّت بها الأندلس في هذه الفترة بسبب تواطئه مع جهات خارجية كالدَّولة العبيدية، وملوك النَّصارى في الشَّمال. أمَّا في الدَّاخل فقد إستقطب العصاة وتعاون معهم، أمثال بني الحجَّاج بإشبيليَّة كما أنَّ ثورته قديمة العهد بالأندلس وكان ظهورها

---

[1] **إشبيلية:** وهي مدينة أندلسية قديمة، ويقال أن إسمها إشبال وتعني المدينة المنبسطة، ويقال أن من بناها هو يوليش قيصر، وكان سبب بنائه لها هو أنه لما دخل الأندلس أعجب بكرم ساحته وطيب أرضه وجبله المعروف بجبل الشرف. أنظر البكري: **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، (د، م، ط)، 1992م، ج2، ص902.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 130-131.

[3] **قرمونة:** وتكتب قرمونية، وهي احدى كور الأندلس يتصل عملها بأعمال إشبيلية وتقع غربي قرطبة وشرقي إشبيلية وهي من أقدم مدن الأندلس، أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 330.

[4] الحميري: المصدر السابق، ج1، ص 59.

[5] **طليطلة:** وهي مدينة منيعة جليلة ليس في الجزيرة مدينة أمنع منها، وأهلها يخالفون على بني أمية، وهم أخلاط من العرب والبربر والبربر والموالي ولها نهر عظيم يقال له دوير، أنظر اليعقوبي: **البلدان**، دار الكتب العلمية، ط 1، لبنان، بيروت، 1422هـ، ص 194.

[6] **المولدين:** ويقصد بهذه التسمية الجيل الذي ولد من آباء مسلمين سواء كانوا عربا أو عجما، وأمهات أعجميات سواء كن اسبانيات أو غير ذلك، ونشأ على الإسلام. أنظر حسين يوسف دويدار: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، مصر، القاهرة، 1414هـ، 1994م، ص 41.

[7] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 175-176.

في عهد الأمير محمد بن عبد الرَّحمان سنة 238هـ- 850م/272هـ-886م حيث تحصَّن هذا الأخير في قلعة ببشتر[1] وبعد عدة معارك معه تمكَّن الجيش النَّاصري بقيادة بدر الحاجب من الاستيلاء على قلعة إستجة[2] سنة 300هـ/912م التي تعدُّ من امنع حصون ابن حفصون ووفِّق في فتح ثلاثين (30) حصنا من حصونه[3] وفي سنة 303هـ/915م، توفي عمر بن حفصون فتفرَّقت جماعته وضعفت شوكته.[4] مخلَّفا بعده أبناءً حملوا الرَّاية وواصلوا الثورة، إلا أنهم لم يصمدوا طويلا في وجه قوة جيش النَّاصر، فسقطت حصون بني حفصون الواحدة تلوى الأخرى، ومن أشهرها قلعة ببشتر.[5] وتمَّ القضاء على هذه الثَّورة نهائيًّا سنة 316هـ/927م. وهكذا تمكَّن عبد الرحمان النَّاصر من توحيد البلاد وأحكم قبضته على جميع أرجاءها.[6]

أمَّا على المستوى الحضاري فقد حقَّقت الأندلس قفزة كبيرة وفي شتى المجالات فنجد هناك انتعاش اقتصادي آنذاك وتطوَّر ملحوظ على مستوى الصِّناعة والتِّجارة والزِّراعة وأصبح الدخل الفردي للأندلسين في تلك الفترة جيِّدا،[7] وقد ذكر ثقات مؤرخي الأندلس "أنَّ عبد الرَّحمان الناصر خلَّف في بيت مال الدولة خمسة آلاف ألف ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقناطير خمسمائة ألف قنطار."[8]

---

[1] انتصار محمد صالح الدليمي: **التحديات الداخلية والخارجية واجهت الأندلس خلال الفترة 300-366هـ/912-976م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، بإشراف ناطق صالح مطلوب، جامعة الموصل، العراق، 1426هـ-2005م، ص 27-28.

[2] **إستجة:** وهي كورة في الأندلس متصلة بأعمال ريَّة تقع بين القبلة والمغرب من قرطبة وهي كورة قديمة واسعة الأراضي، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ، أنظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 174.

[3] سامية مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص 20.

[4] مؤلف مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، تح: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث المعهد ميغيل اسين، (د، ط)، اسبانيا، مدريد 1983م ج1، ص 161.

[5] **قلعة ببشتر:** وتكتب بباشتر وهي حصن منفرد بالامتناع من أعمال ريَّة بالأندلس بينه وبين قرطبة ثلاثين فرسخا، أنظر ياقوت ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 333.

[6] سامية مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص 21-22.

[7] سامية مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص 30.

[8] ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، مر، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د، ط، لبنان، بيروت، 1421هـ-200م، ج1، ص 226.

ويذكر آخرون أنه خلَّف عشرين مليونا من الذهب في خزائنه وهذا دليل على والبحبوحة مالية التي شهدتها الأندلس وقتئذ وتحسن أحوال الرعية.[1]

ورغم اشتغال النَّاصر بالسِّياسة إلا أنه اهتم بالعمران أيضا فشيَّد مدينة الزَّهراء التي تعدُّ من أبرز التُّحف المعمارية وعجائب الدُّنيا[2] سنة 325هـ/937م ومن انجازاته أيضا توسيع وتحسين المسجد الجامع بقرطبة الذي هدم منارته القديمة واستبدلها بأحسن منها سنة 340هـ/951م وأعاد بناء صحن المسجد بالشكل الذي يليق به وجدَّد واجته وزاد في مساحته وذلك سنة 346هـ/957م[3] وشهد عصره نهضة علميَّة حيث ظهر مجموعة من والعلماء والمشائخ في شتى المجالات من بينهم منذر بن سعيد البلوطي.[4]

وكان أهل الأندلس من أشدِّ النَّاس احتراما للكتب، وأكثرهم شغفا باقتنائها، واعتناءً بخزائنها[5]

---

[1] رينهرت دوزي، **المسلمون في الأندلس**، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د، ط)، (د، م، ط)، 1994 ج2، ص 56.

[2] ابن خلكان: **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: احسان عباس، دار صادر، (د، ط)، بيروت لبنان، 1398هـ-1978م، ج5، ص 26.

[3] محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 343.

[4] **منذر سعيد بن البلوطي**: وهو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن قاسم بن عبد الله البلوطي، نسبة إلى ناحية بالأندلس تسمى بلوط، ثم الكزني، وينسب إلى البربر في فخذ منهم يقال له كزنة، ويكنى أبا الحكم، من أهل قرطبة، وهو قاضي الأندلس أيام حكم النّاصر، وكان أحد أعيان الأماثل ببلاده، برع في الأدب والشعر وكان ماهرا في الطب، وحسن الخلق، وكان ممن يكرمه الناصر ويجله، وله عدة مؤلفات من بينها كتاب الأشراف، وكتاب العين. توفي سنة 355هـ/966م. أنظر ابن الفرضي: **تاريخ عماء الأندلس**، تص: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط 2، مصر، القاهرة، 1408هـ-1988م، ج2، ص 142. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 492. المقري التلمساني، **ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض**، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د، ط)، مصر، القاهرة، 1358هـ/1939م، ج2، ص 272.

[5] علي حسين الشطشاط: المرجع السابق، ص 164.

ب- خارجيا:

رغم اهتمام عبد الرحمان النَّاصر بإصلاح أحوال بلاده، إلاَّ أنَّه لم يهمل العلاقات الخارجية وسعى إلى تطويرها، والعمل على إقامة علاقات حسنة مع دول الجوار من جهة، وعمل على صد الأخطار الخارجية التي تهدِّد أمن دولته من جهة أخرى، وبفضل حنكته السِّياسية تمكَّن النَّاصر من جعل قرطبة الدَّولة الأقوى في غربي البحر المتوسط في تلك الفترة، الأمر الذي جعل العديد من الممالك والدول المجاورة تسعى للتقرُّب منه.[1] وكانت وفود وسفارات الدَّولة البيزنطية في المشرق أوَّل من قصد بلاط النَّاصر. ويعتبر العداء المشترك الذي يجمع بينهما للدَّولة العباسية من أبرز عوامل قيام هذه العلاقات، فقد بعث قسطنطين السَّابع[2] بسفارة للأندلس سنة 336هـ/947م فاحتفل بهم النَّاصر في يوم مشهود.[3] أمَّا الإمبراطورية الرُّومانية المقدَّسة في فرانكفورت التي كانت تحت حكم الامبراطور هوتو الأول (Otto I) (324هـ/936م- 362هـ/973م)[4] أرسلت يوحنَّا الغرزيني[5] سفيرا لها عند النَّاصر يحمل كتابا يردُّ فيه على رسالة الخليفة الأموي إليه والتي اعتبرها الملك هوتو الأول مساس بالدِّيانة النَّصرانية حي يعتبر الإمبراطور الرُّوماني الحامي الشَّرعي لها، ولكن الهدف الأساسي لهذه السِّفارة يتمثل في محاولة صد الخطر والزَّحف الأندلسي على الأراضي الإمبراطورية الرُّومانية

---

[1] السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص 174.

[2] قسطنطين **السابع**: هو الإمبراطور قسطنطين الملقب ببورفيروجنيتوس، ابن الامبراطور ليو السادس، كان محبوبا لدى شعبه، ورث عن أبيه حب المعرفة، وشجع العلم والعلماء في دولته، وكان يمارس جمع الكتب والنادر منها، وكان له مجموعة من الكتاب تعينه في ذلك. أنظر محمود سعيد عمران: **إدارة الإمبراطورية البيزنطية للإمبراطور قسطنطين السابع**، دار النهضة العربية، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1980م، ص37-39.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ص 183.

[4] محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 314- 142.

[5] **يوحنا الغرزيني (الجورزيني)**: وهو حبر من أحبار النصارى، وسمي بالجورزيني نسبة إلى الدير الذي ينتمي إليه في جورزيني على مقربة من متز بفرنسا، وكان من أكابر العلماء أقطاب البحث والمناظرة. أنظر محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، عص1، قس1، ص457.

ويتجسَّد هذا الخطر في قيام دويلة جبال القلال التي عرفت باسم "فراكسنيتوم"(Fnaximete Farxinet- Fraxinetum)[1] التي تمكن البحارة الأندلسيون من الإستيلاء عليها[2]

ولم يتوان ملك ليون[3] راميرو (Ramero) هو أيضا في إرسال سفارة لطلب الصُّلح من النَّاصر، هذا الأخير أرسل سفيرا ليعقد شروط الصلح مع راميرو، ولم يقتصر السِّلم على مملكة ليون بل شمل برشلونة كذلك، لما أرسل الملك الافرنجي شنير ابن منفريد سفيره حسداي بن إسحاق[4] لعقد السِّلم وفق شروط النَّاصر.[5]

أمَّا بالنسبة لصدِّ المخاطر الخارجية عن الأندلس فقد تمكن النَّاصر من كسر شوكة مملكة ليون (Leon) والتي تعد من أقوى الممالك النصرانية، وقد خاض معها عدة معارك وكبَّدها هزائم متتالية ومن أبرزها معركة وخشمة (Osma) سنة 322هـ/934م.

أمَّا مملكة نبرة (Navarra)[6] فقد كان يحكمها آنذاك غرسيه الأول (Garcia) الذي كان صغير السِّن وكان تحت وصاية أمِّه طوطة (Toda)، ولم تشكِّل هذه المملكة خطرا واضحا على

---

[1] **فراكسنيتوم**: وهي دويلة تقع جنوب شرق فرنسا وشمال ايطاليا وسويسرا تم تأسيسها من طرف بحارة أندلسيين سنة 277هـ/890م وورد اليها مؤيدون من الأندلس وإفريقية واستمرت هذه الدولة حتى سنة 365هـ/975م. أنظر عبد الرحمان علي الحجي: **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، ط2، سوريا، دمشق، 1402هـ/1981 ص 313.

[2] ابراهيم محمد آل مصطفى: **سفارات الاندلس الى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية 138-422هـ/755-1031م**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، القاهرة، 1434هـ-2013م، ص 139- 140.

[3] **مملكة ليون**: وهي قاعدة من قواعد قشتالة، عامرة بها معاملات وتجارات ومكاسب، ولأهلها همة ونفاسة. أنظر الإدريسي: **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق**، عالم الكتب، ط1، لبنان، بيروت، 1409هـ، ج2، ص 731.

[4] **حسداي بن إسحاق**: وهو يوسف بن أحمد بن حسداي بن يوسف الإسرائيلي المسلم الأندلسي أبو جعفر الطبيب من أعيان الفضلاء في الطب وله مصنفات، وله كتاب الإجمال في المنطق، وهو بيت طب وفلسفة . أنظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1460هـ/2000م، ج26، ص 40. ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، مصر، القاهرة، 2009م، ج2، ص 441.

[5] ابراهيم محمد آل مصطفى: المرجع السابق، ص 145.

[6] **مملكة نبرة**: وهي عمالة صغيرة، وقاعدتها مدينة بنبلونة، وملكها من البشكنس، وهي إقليم من أعمال ماردة، أنظر القلقشندي: **صبح الأعشى**، دار الكتب الخديوية، (د، ط)، مصر، القاهرة، 1333هـ/1915م، ج5، ص 271. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 258.

الأندلس لذلك جنحت طوطة لعقد السِّلم مع النَّاصر سنة 326هـ/938م، ثم نقضته بعد مدَّة، فغزاها النَّاصر واستولى على بعض حصونها فأعادت معه عقد الصُّلح سنة 347هـ/958م.

وفي عهد النَّاصر ظهرت إمارة نصرانية في وهي قومسية (امارة قشتالة) (Condado) وكان يحكمها الملك القومس فرنان غونزاليث (Fernan Gonzalez)311هـ/ 923م وقد وجه له النَّاصر العديد من الحملات واستولى على العديد من حصونه.[1]

وبعد تفادي الناصر لخطر الممالك النَّصرانية وتمكُّنه من إيقاف زحفهم على الأراضي الأندلسيَّة لازال هناك تهديد آخر في العدوة المغربية والذي يتمثَّل في الدَّولة العبيدية الشيعيَّة التي بسطت نفوذها على العدوة حتى وصلت المغرب الأقصى. هذا التوسع الملحوظ زاد قلق النَّاصر، خاصة وأنه يرى في هذه الدَّولة كافرة يجب محاربتها، وبما أنَّ أهل المغرب الأقصى على المذهب المالكي فقد ساعده هذا الأمر على التَّخلص من الحكم الشِّيعي في المغرب. عن طريق كسب ودِّ زعماء البربر وأكابرهم فقام باستدعائهم وجعلهم تحت حمايته وتمكَّن من ضمِّ الكثير من فرسان البربر، وبعث له إثر ذلك محمد ابن خزر عظيم أمراء زناتة كتبه يعلن الولاء والخضوع.[2]

ولإضعاف واستنزاف قوة العبيديين في المغرب عمل النَّاصر على زرع بذور الفتنة بين قبائل البربر، فإنضم له بنو إدريس إلى جانب زناتة التي أعلنت الولاء كما قلنا سابقا.[3]

وموَّل النَّاصر الثَّورات على الدَّولة العبيدية في المغرب كثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد[4] المعروف بصاحب الحمار، كما تمكن من الإستيلاء على مدينة سبتة عندما وجَّه لها أسطولا قويًّا سنة 319هـ/931م، بقيادة

---

[1] سلمى الخضراء الجيوسي: المرجع السابق، ج1، ص 87-88.

[2] حسين مؤنس: **موسوعة تاريخ الاندلس فكرو تاريخ وحضارة وتراث**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، القاهرة، 1416هـ-1996م، ج1، 315-317.

[3] سالم السيد عبد العزيز: **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، ص 287-288.

[4] **أبويزيد مخلد بن كيداد**: هو أبو يزيد مخلد بن كيداد، بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن رويب بن سيران سيران بن يفرن بن صرة بن يورسيف بن جنا بن يحي بن ضرليس بن جالوت، وهو على المذهب الصفري النكاري، صاحب الحمار توفي سنة 336هـ/947م. أنظر كاتب مراكشي: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية

أحمد ابن محمد بن إلياس وسعيد ابن يونس بن سعديل وهما من أبرز قادة الأسطول الأندلسي الذي كان يتكوَّن من مائة وعشرين (120) سفينة وسبعة آلاف (7000)رجل فأسقطوا بني عاصم من ولاة البربر الحلفاء للفاطميين في المغرب، ثم استولى النَّاصر على طنجة[1] سنة 315هـ/927م، بعد أن حاصرها بأسطوله وأعلن بعد ذلك واليها أبي العيش الحسني ولاءه للنَّاصر.[2] ثم استولى على مليلة[3] في السَّنة نفسها[4]

(د، ط)، المغرب، الدار البيضاء، 1985، ص205. ابن الأبار: المصدر السابق، ج2، ص388. ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 216. الأعلام: المصدر االسابق، ج7، ص 194.

[1] **طنجة**: هي مدينة كبير أزلية، على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهي من البر الأعظم وبلاد البربر، وفيها آثار كثيرة، وليس لها سور وهي على ظهر جبل أنظر كاتب مراكشي: المصدر السابق، ص 138. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 43.

[2] محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، عص1، قس1، ص 425-426.

[3] **مليلة**: وهي مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر، ذات سور منيع، وحال وسيع، وفيها عين عظيمة. ابن حوقل: **صورة الأرض**، دار صادر، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1938م، ج1، ص 78. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 197.

[4] سالم السيد عبد العزيز: **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**، ص287.

المبحث الثالث: السيرة الذاتية للحكم المستنصر بالله

مولده ونسبه:

هو الحكَم بن عبد الرَّحمان بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الرَّحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرَّحمان الدَّاخل ويكنَّى أبا المطرف[1] أو أبا العاص[2] واختار لنفسه لقبا من الألقاب السُّلطانية فسمَّى نفسه المستنصر بالله.[3] ولد في ظهيرة يوم الجمعة[4] في أربع وعشرين (24) من جمادى الآخرة سنة 302هـ/914م[5]، وقد وجدت معلومات عن ولادة الحكم في كتاب له.[6]

وأمُّه أم ولد[7] تسمَّى مرجان،[8] أو مهرجان على حدِّ قول ابن عذاري في كتابه.[9]

ومن صفاته الجسدية أنه كان أبيض مشربا بحمرة، أصهبا أقنى، أسيل الخد، عظيم الجسم، جهير الصوت، طويل الصلب، قصير الساقين، أدعج، خفيف اللحية، طويل القامة[10]

نشأته:

ترعرع الحكم المستنصر بالله وترَّى في أسرة أموية، تزاول الحياة السياسية، وتجيد أحكامها وملمة بشتى العلوم على اختلاف مجالاتها، فقد كان أبوه عبد الرحمان الناصر شهما جوادا، وفقيها ثبتا، عالما

---

[1] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 233.

[2] الذهبي: المصدر السابق، ج1،ص 1529.

[3] ابن الفرضي: **تاريخ علماء الاندلس**، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، لبنان، بيروت، 1410هـ-1989م،ج1، ص 44.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 166.

[5] مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص 210.

[6] مؤلف مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص 168.

[7] **أم ولد**: هي الأمة التي استولدها مولاها كما هو مشهور، أو استولدها رجل بالنكاح، ثم اشتراها أولا. أنظر محمود عبد الحمان عبد المنعم: **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، دار الفضيلة، (د، ط)، مصر، القاهرة، (د، ت، ط)، ج1، ص 289.

[8] الضبي: المصدر السابق، ص 40.

[9] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 232.

[10] مؤلف مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، ص 168

مؤَيدا، وحازما كريما، وله من الصفات الحميدة ما ورثَّه لابنه الحكم،[1] هذا الأخير له إحدى عشر (11) أخا وهم: عبد العزيز، والأصبغ، وعبيد الله، وعبد الجبَّار، وعبد الملك، وسليمان، وعبد الله، ومروان، والمنذر، والمغيرة.[2]

وقد حظي الحكم بدعم كبير من والده عبد الرَّحمان وكسب ثقته ما جعله أكثر قرابة له بالمقارنة مع بقية أخوته.[3] وكان ملازما له وشديد التَّأثر به في تسيير شؤون الدولة من جهة، ومن ناحية قوة شخصيته من جهة اخرى[4]، فقد منحه أباه العديد من الصلاحيات والرخص للتصرف في شؤون الحكم وإدارة الدولة،[5]

فقد استخلفه في قصر قرطبة، فجلس على كرسي الخلافة عندما خرج غازيا إلى ألبيرة[6] سنة 313هـ/922م[7] وقد سعى النَّاصر أن يجعل من ابنه رجلا ذا خبرة في السِّلم والحرب فقد كان مرافقا له في الحروب والغزوات كغزوة بطليوس سنة 317هـ/926م.[8]

أمَّا في أيَّام السِّلم فقد كان يشاوره في أمور الحكم[9] ويكلِّفه بمراسلة الأعيان والمشائخ.[10]

---

[1] مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص 202.

[2] ابن حزم الاندلسي: **جمهرة أنساب العرب**، تح، ليفي بروفنسال، دار المعارف، (د، ط)، مصر، القاهرة (د، ت، ط)، ص 92.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص184

[4] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 382.

[5] عبد المجيد نعنعي: **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي**، دار النهضة العربيـــة، (د، ط) ، لبنـــان، بيروت، (د، ت، ط) ص 386.

[6] **ألبيرة**: وهي مدينة بالأندلس بقرب قرطبة، من أكرم المدن وأطيبها شديدة الشبه بغوطة دمشق في غزارة الأنهار والتفاف الأشجار وكثرة الثمار، وفي ساحلها شجرة الموز، ويحسن بها نبت قصب السكر، وفيها المعادن كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والرخام وغيره تحمل إلى سائر بلاد الأندلس. أنظر القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، (د، ط)، لبنان بيروت، (د، ت، ط)، ص 502.

[7] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص189.

[8] وفاء عبد الله بن سليمان المزروع: **الخليفة الاموي الحكم المستنصر 350-366هـ**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تحت اشراف أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، السعودية، 1402-1403هـ/1982-1983م، ص 26.

[9] ابن سعيد المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص 183.

[10] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 276-277.

وكلَّفه أيضا بترتيب حفل استقبال رسل الروم سنة 334هـ/945م، حيث دعا لهذا الحفل جملة من الفقهاء والشعراء والعلماء أمثال أبي علي القالي،[1] والقاضي سعيد بن منذر البلوطي والفقيه أحمد بن عبد البر،[2] وغيرهم من العلماء ووجهاء القوم.[3]

وكان الحكم حينها بمثابة وزير الثقافة والعلم في عهد أبيه،[4] عندما كلَّفه الناصر بالإشراف على بناء مدينة الزهراء والوقوف على سير أشغالها سنة 325هـ/936م.[5]

وفاته:

توفِّي الحكم رحمه الله ليلة الأحد في الرابع (4) من صفر سنة 366هـ/975م ودفن بروضة الخلفاء بقصر قرطبة،[6] كان عمره حينها ثلاث وستين (63) سنة وأربعة (4) أشهر[7] وكان قد أخذ البيعة لابنه هشام وكتب له له عهدا قبل وفاته، و وينقل لنا كتاب تاريخ الأندلس حدثا بالأندلس يوم وفاة الحكم المستنصر في قوله:" وفي ليلة وفاته طلع بشرق الاندلس شهاب أحمر فبقي كذلك يطلع أياما حتى خرج عليه عمود أخضر فابتلعه. "[8]

---

[1] **أبي علي القالي**: هو إسماعيل بن القاسم بن عيدرون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان اللغوي، احفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب، ولد 208هـ في متاز جرد من ديار بكر نشأ فيها ورحل إلى العراق، فتعلم في بغداد، حضر رطبة عام 330، وألف عدة كتب فيها مثل: الأمالي، الممدود، المقصور والمهموز، توفي سنة 356هـ. أنظر الحميدي: **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط 2، مصر، القاهرة، 1410هـ، 1989، ص 252.

[2] **أحمد بن عبد البر**: وهو أحمد بن محمد بن عبد البر من أهل قرطبة، من موالي بني أمية، ويكنى أبا عبد الملك، كان بصيرا بالحديث، وفقيها نبيلا، متصرفا في فنون العلم، وكان علم الحديث أغلب عليه، وله مؤلف حول الفقهاء بقرطبة، توفي سنة 338هـ. أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 51.

[3] انتصار محمد صالح الدليمي: المرجع السابق، ص 48-49.

[4] سلمى الخضراء الجيوسي: المرجع السابق، ج1، ص 89.

[5] ابن عذاري: المصدر السابق: ج2، ص 231.

[6] مؤلف مجهول: **تاريخ الاندلس**، ص 215.

[7] ابن الخطيب: **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، ج2، ص 44.

[8] مؤلف مجهول: **تاريخ الاندلس**، ص 215. يبدوا أن أهل الأندلس كانوا يهتمون بالظواهر الخارقة ويربطونها بالأحداث التاريخية التاريخية سواء كانت علامة خير او نذير شؤم ونجد ذلك في كتب بعض المؤرخين. لكن الرسول صلوات ربي وسلامه عليه ينهى عن مثل هذه الأمور. كما جاء في نص الحديث عن المغيرة بن شعبة قال: « كَسَفَت الشَّمسُ عَلَى عَهدِ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّم يَومَ مَاتَ إبرَاهِيمُ فَقَالَ النَّاسُ: كَسُفَت الشَّمسُ لِمَوتِ إبرَاهِيم، فقال: إنَّ الشَّمسَ وَالقَمَرَ لَا يَكسِفَانِ لِمَوتِ أَحَدٍ ولاَ حَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيتُم فَصَلُوا وَأُدعُوا اللهِ. » (رقم الحديث: 1043) أنظر البخاري: **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، ط1، لبنان، بيروت، 1423هـ، 2002م، ص 253.

المبحث الرَّابع: استعداد الحكم المستنصر بالله لتولي الخلافة.

الحكم المستنصر بالله وليا للعهد:

تستند أنظمة الحكم الوراثية على عدَّة مناصب من بينها منصب ولاية العهد، حيث يقوم الخليفة أو الأمير بترك وصية تقضي بتعيين أحد أبنائه خليفة له من بعد موته. ولا يشترط أن يمنح هذا المنصب للابن الأكبر بين أخوته بل يتم اختياره بدقَّة وعناية فائقة، حسب مؤهلات الشخص وقدراته الشخصية.[1] هذا الأخير الذي كان سائدا في الدَّولة الأموية في الأندلس حيث تميَّز بتولية الأبناء لهذا المنصب بدلا من الإخوة أو أبناء العمومة، ونجد ذلك إلا في حالات استثنائية فقط[2].

ونجد هناك آراء مختلفة وتضاربا في الأقوال حول شرعيَّة هذا المنصب، فقد أجمع واتَّفقوا الفقهاء على جوازه مدلِّلين على ذلك بعدَّة براهين.[3] وهناك من يرى أنَّه منكر وغير مشروع في النِّظام الإسلامي لأنَّ السُّلطان للأمَّة وليس للخليفة.[4]

لقد بادر عبد الرَّحمان النَّاصر بتقليد ابنه الحكم ولاية العهد من بعده وهو صغير لا يتجاور ثمانية (8) سنين، ولاشكَّ أنَّ هذا القرار لم يكن عشوائيا بل جاء بعد تحر عميق لشخصيَّة ابنه ونتيجة تبصُّره بالأمور، فالنَّاصر أصبح يثق في ابنه ثقة عمياء[5] ويتضح لنا أنَّه فضَّله على جميع اخوته. اخوته.

وتقلَّد الحكَم منصب ولاية العهد جلب عليه نقمة أخيه عبد الله الذي تآمر مع مجموعة من النَّاس الذين دعموه وساعدوه، لكن النَّاصر اكتشف مؤامرته فسجنه، ثم ذبحه بيده في عيد الأضحى سنة 339هـ/948م وقتل جميع من كانوا معه[6] ويقال أنَّ سبب قتل الناصر لابنه عبد الله هو اتِّهامه

---

[1] سالم بن عبد الله الخلف: **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الاندلس**، مكتبة الملك فهد الوطنية ، (د، ط)، السعودية، المدينة المنورة 1424هـ-2003م، ج1، ص 133.

[2] نفسه، ص 206.

[3] أبي الحسن الماوردي: **الأحكام السلطانية**، تح، أحمد جاد، دار الحديث، (د، ط)، مصر، القاهرة، 1427هـ-2006م، ص 30.

[4] عبد القادر زلوم: **نظام الحكم في الاسلام**، منشورات حزب التحرير، ط 6، 1422هـ-2006م، ص 87.

[5] ابن الخطيب: **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام** ، ج2 ص 41-42.

[6] ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 188.

لأبيه بالجور في الحكم، واقدامه على سفك الدِّماء وليس بسبب مؤامرته لقتل أخيه، لكن هذه الرواية تبدوا ضعيفة لحد ما فقد كان النَّاصر عكس ذلك.[1]

وهناك بعض الأخطار المحدقة بولي العهد الذي يعينه الخليفة إذا كان صغيرا في السِّن، لأنَّ هذا المنصب مسؤولية كبرى فقد يتعرض بعض هؤلاء الأبناء الى استغلال بعض كبار الدَّولة أمثال الحجَّاب وغيرهم في تسيير شؤون البلاد والحجر عليهم، ولكن من حسن حظِّ الحكم المستنصر أنَّ أباه النَّاصر قد توفِّي وهو يبلغ ثمانية وأربعين (48) من عمره آنذاك، وقال النَّاصر وهو يشير إلى مدَّة طول حكمه مخاطبا الحكم قائلا: "لقد طوَّلنا عليك يا أبا العاصي"[2]

تولية الحكم المستنصر الخلافة:

تولَّى الحكم المستنصر الخلافة بعد وفاة أبيه في الثَّالث من (03) رمضان 350هـ/961[3] وكان حينها رجلا متمرِّسا في شؤون الملك ومطَّلعا على أمور السِّياسة وكان ناضجا وذا خبرة تؤهِّله لهذا المنصب خاصَّة أنَّه كان في فترة الكهولة يومئذ، ولقد وفَّر له النَّاصر الجو المناسب كي يصبح خليفته من بعده[4]

وقد تمت له البيعة الخاصَّة ثم بايعه العامَّة بعد ذلك.[5]

أ- البيعة الخاصة:

تمَّت هذه البيعة في قصر الزَّهراء بقرطبة حيث جلس الخليفة الجديد على العرش في البهو الأوسط الذَّهبي، وحضر لمراسيم البيعة كل أفراد الأسرة الحاكمة ورجال الدَّولة.[6] وكان الفتيان الأكابر الأكابر الصَّقالبة[7] أوَّل من بايعه أمثال جعفر صاحب الخيل، والطّراز، وغيرهم. وتكفَّلوا بأخذ البيعة

---

[1] مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، 204.

[2] ابن سعيد: المصدر السابق، ج1،ص200

[3] ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج1، ص200

[4] محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، عص1، قس1، ص 483.

[5] وفاء عبد الله بن سليمان المزروع: المرجع السابق، ص 33-34.

[6] محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، عص1، قس1، ص 483.

[7] **الصقالبة:** يطلق هذا الاسم في الأندلس عل الرقيق المجلوب من أوروبا، وكذلك من المناطق الشمالية في اسبانيا. فقد كانوا يجلبون من سواحل البحر الأسود، ومن ايطاليا، ومن قطلونية وجليقية في شمال اسبانيا. أنظر حسين يوسف دويدار: المرجع السابق، ص 51-52.

على من دونهم وتحت أيديهم. ثم همَّ الوصفاء والعرفاء فبايعوه أيضا. ثمَّ طلب الحكم المستنصر من كبير دولته جعفر بن عثمان المصحفي[1] أن يستجلب له إخوته للقصر لأخذ البيعة منهم، ولما تَّم له ذلك بايعه الوزراء وإخوته، ثمَّ أصحاب الشُّرطة، وطبقات أهل الخدمة. ولما حضروا جميعا في البهو الذهبي قام عيسى بن فطيس أحد كبار الدَّولة فأخذ البيعة منهم جميعا،[2] ثم انصرفوا جميعا، إلا الإخوة والوزراء ورجال الخاصَّة، فقد بقوا داخل القصر إلى أن حمل نعش الخليفة السَّابق عبد الرَّحمان النَّاصر ليدفن في مقبرة قصر قرطبة، وبذلك تمَّت مراسيم البيعة[3]

وقد أهداه حاجبه جعفر المصحفي هديَّة تليق بمقامه تتمثَّل في: " مائة مملوك من الافرنج النَّاشئة على خيول صافنه كاملو الشَّكة من الأسلحة والسُّيوف والرِّماح والدُّرق والتّراس والقلانس الهندية، وثلاثمائة ونيف وعشرون درعا مختلفة الأجناس، وثلاثمائة خوذة كذلك، ومائة بيضة هندية، وخمسون خوذة خشبيَّة من بيضات الفرنجة من غير الخشب يسمونها الطُّشطانة، وثلاثمائة حربة افرنجية، ومائة ترس سلطانية، وعشرة جواشن فضة مذهَّبة، وخمسة وعشرون قرنا مذَّهبة من قرون الجاموس."[4]

ب- البيعة العامة:

وفي ذي الحجة من نفس السَّنة تكاثرت الوفود من أهالي الأندلس كأهل طليطلة وولاة الأقاليم على باب القصر من أجل مبايعة الحكم وطرح مطالبهم عليه، فتوصلوا إلى مجلس الخليفة، وفي حضرة جميع الوزراء والملأ والقاضي منذر بن سعيد، فأخذت عليهم البيعة ووقعت الشهادات في نسخها.[5]

---

[1] **جعفر بن عثمان المصحفي**: هو جعفر بن عثمان بن نصر بن قوي بن عبد الله بن كسيلة بن برابر بلنسية ينتمي إلى قيس بالمخالفة، ويكنى أبا الحسن، كان من أهل العلم والأدب البارع، وله شعر كثير رائع، يدل على طبعه وسعة أدبه، وكان الوزير في الأمور قبل المنصور بن أبي عامر، ثم قوى هذا الأخير وتغلب، فنكب جعفرا، ومات في نكبة سنة 372هـ. أنظر ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج1، ص 257. الحميدي: المصدر السابق، ج1، ص 289.

[2] وفاء عبد الله بن سليمان المزروع: المرجع السابق، ص 33-34

[3] محمد عبد الله عنان: المصدر السابق، عص1، قس1،ص 483.

[4] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 382.

[5] المقري التلمساني: **أزهار الرياض في اخبار القاضي عياض**، ج2، ص 288.

وقد أبدع الشُّعراء في نسج أبيات شعرية معبِّرين عن فرحهم بتولِّي الحكم المستنصر الخلافة، فأنشده عبد الملك بن سيد المرادي الخازن أبياتا بهذه المناسبة قائلا:

بِـأَسعَـدِ وَقـتٍ للإِمـامِ وَأَوفَـقِ وَأوكَـد عَهدٍ في الرِّقـابِ وَأَوثقِ
أَجَـابَ نِدَاءَ الله أَفضَـلَ مَن مَضىَ وَقَـامَ بِأَمرِ الله أَفضَـلَ مَن بَقِي
دَجَا الأُفقَ إِشفَاقاً عَلَى الثَّامِنِ الرِّضَى وَأَسفَرَ إِسعَاداً عَلَى التَّاسِعِ التَّقِي [1]

وأنشده كذلك الشَّاعر إسماعيل بن بدر قائلا:

لَئِن غَرُبَت شَمسٌ لَقَد طَلُعَت شَمسٌ فَمَا فِي صَلَاحِ الأَرضِ رِيبٌ وَلَا لُبسُ
مُسـتَنـصِرٌ بِـالله دَانٍ لِمُلكِـهِ وَأَيَّـامُهُ المِـيمُونَـة الجِنُّ والإِنـسُ
تَـوَلَّى أَمِيرُ المؤمنـين فَأَصبَـحوا وَمَا بَينَـهُم نَجوَى بِعَدوَى وَلَا هَمـسُ
فَلَا سُقِيَت أَرضٌ بِغَيرِ سَحَـابَةٍ بَلَالًا وَلَا سَـرَت لِسُكَّـانِهَا نَفسُ
وَإِن شَدَّ حَلَسُ لَا يَكُـون ثِيَابَهُ فَـلَا أَنهَضَت يَومًا بِمَن شَدَّهُ عَسُ [2]

[1] مؤلف مجهول: **تاريخ الاندلس**، ص 211-212.
[2] ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج1، ص 255.

الفصل الثاني: دور الحكم المستنصر بالله السياسي

- المبحث الأول: سياسة الحكم المستنصر بالله الداخلية
- المبحث الثاني: سياسة الحكم المستنصر تجاه العالم المسيحي
- المبحث الثالث: سياسة الحكم المستنصر تجاه العالم الإسلامي.

المبحث الأول: سياسة الحكم المستنصر بالله الداخلية

1. سياسة الحكم بالله في إصلاح أحوال الرّعية (الحياة الاجتماعية):

بعد أن اعتلى الحكم المستنصر الخلافة في الاندلس وجّه نظره مباشرة إلى أوضاع بلاده فقد وسعى إلى إصلاح أمورها، وتحسين أحوال رعيّته. وكان السّبيل الوحيد لذلك إرساء العدل فيها. وبمراقبة عمّاله في كور الأندلس ومحاسبتهم، فبدأ بإرسال أمنائه إلى جميع أنحاء البلاد منذ 353هـ/964م لإيراد الأخبار له،[1] وكانوا يرسلون له تقارير كاملة عن أحوال البلاد، فيعاقب المسيء منهم، ويكافئ المنصف الحريص عليهم.[2]

ولما تمّت له البيعة باشر فورا "بالنّظر في المظالم، وسرّح السُّجون، وفدى الأسرى، وأحسن إلى الرعيّة وحطّ وظائفها، وأخذ بالرفق، وأخرج مائة ألف دينار برسم الصدقة، وأدّى عن المدينين ديونهم، وضبط الثغور"،[3] وكان الحكم المستنصر متابعا لأخبار الكور ومتربّصا بالعمال الجائرين فيها. وفي سنة 355هـ/966م بعث ثقات له لتفقُّد أحوال البلاد، وقبل مغادرتهم قرطبة خاطبهم قائلا[4]: " إن لم تنصحوا فأنا المباشر لها بنفسي، فإنّي أنا المسؤول عنهم، فما العذر بين يدي السَّائل".[5] وفي سنة 356هـ/967م، علم الخليفة بجور بعض عماله الذين زادوا في الضَّرائب المفروضة على النَّاس ظلما،[6] فنكّلهم وأوقع بهم وبعث لهم كتابا يعنفّهم فيه قائلا: « أمَّا بعد؛ فإن الله جل ثناؤه لا يظلم مقال ذرة ولا يقوي الظالم، وهو الوكيل بنصرة المظلوم، وقد أعدَّ للظَّالمين عذابا أليما، وقد علمتم عنايتنا بالمسلمين، وحفظهم حفظنا بالعباد؛ فأحفظتموها إلى العنف والاستبداد، وحماكم السَّخف المركَّب فيكم، ووصيَّتنا بالدَّاني والقاصي والمطيع والعاصي، ونبذتم بالعداء أمرنا؛ فلتراجع التَّوبة عمَّا أنتم بسببه من الجور، واثبتوا العدل، ﴿وَسَيَعْلَمُ الذِيْنَ ظَلَمُواْ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونْ﴾[7] والسَّلام. "[8]

---

[1] مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص 212-213.

[2] سالم عبد الله خلف: المرجع السابق، ج2، ص 786.

[3] مؤلف مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص 170.

[4] عبد الله خلف: المرجع السابق، ج2، ص 787.

[5] مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص 214.

[6] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 239.

[7] القرآن الكريم: سورة الشعراء، الآية 227.

[8] مؤلف مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص 172.

وفي يوم السَّبت لثلاث بقين من شوال من السَّنة نفسها، أرسل الحكم كتبه إلى قوَّاده وعمَّاله في أنحاء البلاد ينكر فيه إقبال بعضهم على سفك دماء العامَّة بلا عهد ولا مشورة، كما أبرز فيه خطورة هذه الممارسات، وأنَّ هذا الأمر عظم عنده، وهو يبرأ لله منه.[1]

وقد ابتنى الحكم المستنصر دارا للصَّدقة غرب المسجد الجامع تفرَّق فيها على النَّاس، يسعى من خلالها لتخفيض نسبة الفاقة في المجتمع واتقاء ما ينجرّ عنها من انحرافات كالسَّرقة والإجرام. وشيَّد للفقراء بيوتا قبالة باب المسجد الكبير الغربي.[2]

بالإضافة لذلك حبَّس الحكم قام بتحبيس جميع ما ورثه عن أبيه من أراضي زراعية وبساتين على الفقراء والمساكين، فقد أمر بتقسيم غلالها عليهم عاما بعد آخر، أما في حالة حدوث مجاعة في الأندلس فتصبح غلال هذه البساتين موجهة إلى القصور التابعة للدولة وكلَّف الخليفة حاجبه جعفر بن عثمان بالنَّظر فيها والإشراف عليها، وجعل دفع ذلك لوزيره وكاتبه عيسى بن فطيس[3] وأشهد الحاضرين على ذلك.[4]

[1] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 240.

[2] المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 556.

[3] **عيسى بن فطيس**: هو عبد الرحمان بن محمد بن عيسى بن فطيس، وهو من مشاهير قرطبة وفضلائهم، وكان متمكنا في علم الحديث، ولم يكن بعهد المستنصر أجمع منه ولا أعرف بما يجمع، كان مشهورا بالزهد والفقد والصلابة، توفي سنة 340هـ. أنظر القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تح: ابن تاويت الطنجي، بد القادر الصحراوي، محمد بن شريفة، سعيد أحمد أعراب، مطبعة الفضالة، ط1، المغرب، المحمدية، 1965، ج7، ص 182.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 234.

2. التنظيم الإداري:

أ- الوزارة:

كان منصب الوزارة في الأندلس في عهد الدولة الأموية تتكون من جماعة من الأفراد يعيِّنهم صاحب الدَّولة، ويخصُّهم بالمجالسة والمشورة، ويعيِّن واحدا منهم لمكان النَّائب المعروف بالوزير فيطلق عليه اسم الحاجب،[1] وهذا يعني أن تسمية الوزير كان تطلق على مجموعة من المقرَّبين إلى الخليفة الذين يشرفون على مساعدته في شؤون الحكم وتذليل مصاعبه.

وقد تمَّ تنظيم هذه الخطَّة الإدارية في دولة الأمويين بشكل فعلي في عهد عبد الرحمان الأوسط[2]، أما قبله فلم يكن هذا المنصب كذلك.[3] وقد قسَّمها أصنافا، ووزِّعت إلى مجموعة من الاختصاصات، وأصبح لكلِّ وزير عمل معيَّن يقوم به ويذكر ذلك ابن خلدون في قوله: " فجعلوا لحسبان المال وزيرا وللتَّرسيل وزيرا، وللنَّظر في حوائج المتظلِّمين وزيرا، وللنَّظر في أحوال أهل الثغور وزيرا".[4] وهذا التَّعدد لا نجده في نظام الوزارة بالمشرق الإسلامي الذي ظلَّ فيه منصب الوزارة مقتصرا على شخص واحد، كما يعتبر تقسيم مهام الوزارة على عدَّة أشخاص دليلا على مدى التَّنظيم المحكم الذي بلغته الدولة الأموية في الأندلس بالمغرب، وتفوقها على المشرق.[5]ومن أبرز الوزراء في عهد الحكم المستنصر هو جعفر بن عثمان المصحفي الذي كان يحتلُّ مكانة مرموقة في الدَّولة وكان شديد القرابة من الحكم، ويصفه ابن خاقان مدللا على ذلك في قوله: " واستوزره المستنصر، وعنه

---

[1] المقري،: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 216.

[2] **عبد الرحمان الأوسط**: هو عبد الرحمان بن الحكم بن هشام الرضا، بن عبد الرحمان الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان. المعروف ببد الرحمان الأوسط حكم الأندلس سنة 206هـ، وكانت فترة حكمه جيدة، كان حسن السيرة هادئ الطباع، ومحبا للناس. أنظر ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج1، ص 114.

[3] سالم عبد الله خلف، المرجع السابق، ص 455.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 298.

[5] أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، مصر، اسكندرية، (د، ت، ط)، ص 146.

كان يسمع ويبصر".[1] ومن بينهم أيضا عبد الله الزجاجلي،[2] وعلي بن محمد بن أبي الحسين، وحسن بن علي.[3]

وأحيانا يمنح الوزير يمنح عدَّة ألقاب حسب طبيعة عمله، ومنح الحكم المستنصر وزيره غالب بن عبد الرحمان[4] لقب "القائد الأعلى"، وأصدر في ذلك مرسوما أمر فيه بأن لا ينادى ولا يخاطب غالب إلَّا بلقب " الوزير القائد الأعلى" ومنحه أيضا امتيازات وحقوقا ميَّزته عن بقيَّة الوزراء، من بينها تسليمه سيفين مذهَّبين من أنفس ما في خزانته ولقَّبه " ذا السَّيفين " وأمر بتثبيت هذه التَّسمية مع ما سبقها من الألقاب.[5]

وقد يتولَّى رجل واحد ممَّا لا يحملون لقب وزير مسؤولية عدَّة خطط مثل محمد بن أبي عامر المنصور[6] الذي تولَّى في عهد حكم المستنصر خطَّة المواريث، وقضاء اشبيلية، وأعمالها، والأمانات بالعدوة وخطة الشُّرطة الوسطى، بالإضافة إلى وكالة هشام وليَّ عهده.[7]

---

[1] ابن خاقان الإشبيلي: **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تح: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، ط1، لبنان، بيروت، 1403هـ، 1983م، ص 154.

[2] **عبد الله الزجاجلي**: وهو عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله الزجاجلي، يكنى أبا بكر، وهو من أهل قرطبة، وكان خيرا فاضلا، حليما وأديبا، طاهرا كثير الخير، عرف بطول الصلاة النسك، توفي سنة 375هـ. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 133.

[3] ابن حيان: **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، لبنان، بيروت، 1426هـ، 2006، ص 59.

[4] **غالب بن عبد الرحمان**: وهو صاحب مدينة سالم، وأعظم فرسان الأندلس، وقائد الغر الأعلى في عهد الحكم المستنصر أنظر محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1،قس1، ص 528. محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 353.

[5] سالم عبد الله خلف: المرجع السابق، ج1، ص 471.

[6] **محمد بن أبي عامر المنصور**: هو ابو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري، من أسرة يمانية، دخلت أسرته مع أوائل الفاتحين للأندلس، صاحب خطة السكة والشرطة في قرطبة، حقق انجازات عسكرية و سياسية، دام حكمه 26 سنة، توفي سنة 392هـ. أنظر قاسم القحطاني، **القيم الجمالية في الشعر الأندلسي في عصر الدولة الأموية**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراء، إش: سراب يازجي، تخصص الأدب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق، سوريا، 1436هـ، 2015 ص 16. أحمد يوسف سادة: **الفكر السياسي والعسكري للحاجب المنصور بن أبي عامر**، رسالة ماجستير، إش: محمد علي القوزي، عصام محمد شبارو، تخصص آداب، قسم التاريخ، جامعة بيروت، لبنان، 2016م، ص 29.

[7] سالم عبد الله خلف، المرجع السابق، ج2، ص 460-461.

ب- القضاء:

يعد القضاء من أبرز وأهمّ الخطط الإدارية في الدولة، ويعتبرها القاضي الخشني[1] بأنَّها أعظم الولاة خطرا بعد الإمام الذي جعله الله زماما للدِّين وقواما للدُّنيا.[2] وقد أعطى الخلفاء الأمويون بالأندلس أهمية بالغة للقضاء واختيار القضاة، وحرصوا على أن يكونوا أهل علم ومعرفة شديدة بالفقه وعلوم الدِّين، ويُشهَد لهم بالأمانة والعدالة وحسن الخلق.[3]

وكان تنظيم هذه الخطة في الدَّولة الأموية يضم عدَّة أصناف ومراتب القضاة فهناك قاضي الجماعة الذي كان يطلق عليه في عهد الولاة قاضي الجند. أما بالنسبة لقضاة الكور بالأندلس فكان يطلق عليهم اسم القاضي وينسبونه لمنطقته، كقولنا قاضي كذا.[4]

وللقاضي مجموعة صلاحيات وسلطات يمارسها دون غيره من أهل الخطط فهو ينظر في عشر مسائل نذكر منها: [5]

- الفصل في المنازعات.
- العمل على إيصال الحقوق لمستحقِّيها .
- إلزام الولاية للسفهاء والمجانين والحجر على المفلس حفظا للأموال .
- النَّظر في الأحباس .
- تزويج الأيامى من الأكفاء.

---

[1] **عبد السلام الخشني**: وهو محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشني، الإمام، الحافظ، المتقن اللغوي، العلامة، أبو الحسن، صاحب التصانيف، توفي سنة 286هـ. أنظر الذهبي: المصدر السابق، ج3، 3491.

[2] الخشني: **قضاة قرطبة** ، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط2، مصر، القاهرة، 1410هـ، 1989م، ص 25.

[3] ياسين خزعل مصطفى: **بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة العامة**، رسالة دكتوراء، تخصص فلسفة في التاريخ الإسلامي، إش: ناطق صالح مطلوب، جامعة الموصل، العراق، 1424هـ، 2004م، ص 146.

[4] سالم عبد الله خلف: المرجع السابق، ج2، ص 621-622.

[5] نفسه، ج2، ص 647.

ومن أبرز القضاة في عهد الحكم المستنصر الله منذر بن سعيد البلوطي الذي كان قاضيا في عهد أبيه أيضا[1] ومنهم قاضي الجماعة محمد بن اسحاق بن السليم،[2] وحسين بن محمد المرواني القرشي[3] وهو من سكّان حران،[4] دخل الأندلس سنة 350هـ/961م وولاه قضاء بجانة[5] في عهد الحكم المستنصر.[6]

ت- الحجابة:

يقوم الحاجب في الدَّولة الأموية بالأندلس بمهمَّة حجب السُّلطان عن الخاصَّة والعامَّة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم.[7] وكان يتمُّ اختياره من بين المستشارين والوزراء الثِّقاة وهذا ما يوضِّحه المقري في قوله: " ...ويختار منهم شخصا لمكان النَّائب المعروف بالوزير فيسمِّيه بالحاجب، ... ولعظم اسم الحاجب في الدَّولة المروانية وأنَّه كان نائبا عن خليفتهم يسمَّى الحاجب. "[8]

ولما تولَّى الحكم المستنصر الخلافة جعل من جعفر بن عثمان الصقلبي حاجبا له، وذلك لأربع خلون من شهر رمضان سنة 350هـ/961م.[9] إلَّا أنَّ هذا المنصب قد عرَّضه إلى حسد العائلات التي كانت تحتكر هذا المنصب أمثال عائلة آل أبي عبده، وآل شهيد، وآل فطيس، الذين وقفوا إلى صفِّ المنصور بن أبي عامر ضدَّه، وأعانوه في القضاء عليه.[10]

---

[1] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 233.

[2] ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 79.

[3] **حسين بن محمد المرواني القرشي**: وهو من ولد مروان بن الحكم، قدم للأندلس سنة350هـ، كان رجلا صالحا، ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 135.

[4] **حرَّان**: وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة من ديار مضر، وقد أختلف في تاريخ بنائها تقع قرب منابع نهر بليخ، وهي مدينة الصابئة. الحميري: المصدر السابق، ص191. مؤلف مجهول: **تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لإبن كثير**، موقع الإسلام، http://www.al-islam.com ص450. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 235.

[5] **بجانة**: وهي مدينة حصينة خصبة ، من أعمال كورة ألبيرة، خربت وانتقل أهلها إلى المرية. أنظر الأصطخري: **المسالك والممالك-ليدن**، دار صادر، (د، ط)، لبنان، بيروت، 2004م، ص 38. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 339.

[6] ياسين خزعل مصطفى: المرجع السابق، ص 148

[7] ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص 299.

[8] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 216.

[9] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 233.

[10] قدور وهراني: رسوم وتقاليد تعيين الحجاب بالأندلس في العهد الأموي، **الحوار المتوسطي**، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة الغرب الإسلامي، ع7، الجزائر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2014م، ص 126-127.

ث- تنظيمات الجيش:

يعدُّ الجيش الجدار البشري المنيع الذي يحمي كيان الدَّولة من الأخطار الخارجية التي تهدِّد أمنها، كما يعبر عن مدى قوَّتها بين باقي الدُّول والأمصار، وقد حرص الحكم المستنصر على تقويته مقتديا بأبيه عبد الرحمان الناصر في ذلك.

وقد ضمَّ الجيش عدَّة عناصر، ومن أبرزهم الصَّقالبة الذي استكثر منهم في جيشه، وبوَّأهم مناصب رفيعة، وكان متساهلا معهم، فقد طلب من النَّاس بالتَّغاضي على تجاوزاتهم محتَّجا بأنَّهم مؤتمنون على من في قصر قرطبة، ولذلك لا يمكن معاتبتهم ومعاقبتهم في كلِّ وقت لاتِّقاء شرِّهم.[1] ويرى بعض المؤرِّخين أنَّ سبب استعمال الأمويين لهذا العنصر بكثرة راجع لرغبتهم في الحدِّ من نفوذ العرب والبربر في الجيش وإضعافهم. أمَّا البربر فقد أخذ الحكم المستنصر منهم موقفا متناقضا، حيث كان متشدِّدا تجاههم، فقد ورد أنه تمَّ معاقبة أحد عبيد البربر لما ركب على فرس مسرَّج، لأنَّه كان يعد ذلك مخالفا لعادات القصر وتنظيماته، ولكن تغيرت نظرته لهذه الفئة مستقبلا، وتحوَّل موقفه منهم من الكراهية والتهميش إلى الإعجاب،[2] فقد أصبح يشجِّع فرسانهم من قبائل زناتة من بني برزال وغيرهم على القدوم للأندلس والخدمة في جيوشه، وأغدق عليهم الأرزاق والأموال الوفيرة، وقد نجح في ذلك. وتمكَّن من ضمِّ سبعمائة (700) فارس إلى جيشه. كما أصبح معجبا بهم، وكان يتفرَّج عليهم بساحة قصره دار الرُّخام وهم يلعبون ويستعرضون خيلهم فيها،[3] بل أصبح يمدحهم أمام السَّامعين بقوله للحاضرين: « ما أعجب انقياد الخيل لهم كأنَّها تفهم كلامهم! فكأنَّهم الذين عناهم الشَّاعر أبو الطَّيب المتنبي[4] في قوله:

---

[1] سالم عبد الله خلف: المرجع السابق، ج1، ص 293.

[2] سالم عبد الله خلف: المرجع السابق، ج1، ص 494-497.

[3] أحمد مختار العبادي: **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، دار منشأة المعارف، ط1، مصر، الإسكندرية، 200م ص 60-61.

[4] **أبو الطَّيب المتنبي**: هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة، والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، ولد بالكوفة، توفي سنة 354هـ، وعمره إحدى وخمسون سنة. أنظر الزركلي: المصدر السابق، ج1، ص 115. ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 228.

وَكَأَنَّما وُلِدَتْ قِيَاماً تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا!! »[1]

ولعلَّ تحوُّل موقف الحكم المستنصر تجاه البربر من العداء إلى الودِّ والإعجاب بهم، يعود إلى سياسته لاحتوائهم واتقاء شرِّهم، خاصَّة وأنَّ أغلبيتهم من قبيلة زناتة المدافعة على وجوده في المغرب الأقصى، فالحكم لا يريد كسب أعداء جدد يرهقون كاهله ويهدِّدون أمن دولته في الدَّاخل والخارج.

وقد تألَّف جيش الحكم المستنصر كذلك من طبقة الحشم، يشرف عليها مسؤول يسمَّى بصاحب الحشم، وهو بمثابة الوزير. وكانت لهم وظائف عديدة في الجيش كتعبئة العساكر، وترتيب الجند، ويشكِّلون طلائع رئيسة في الجيش، كما يشرفون على ضبط الحصون.[2] وقد شغل هذا المنصب كل من محمد بن القاسم بن طملس،[3] وزياد ابن أفلح[4] في عهد خلافة الحكم المستنصر.[5]

وقد حرص الخليفة على توفير كافَّة الإمكانيات المتاحة لهم من عُدَّة وأموال، استعدادا لصدِّ الأخطار الدَّاخلية والخارجية المفاجئة.[6]

إنَّ النِّظام الإداري في عهد الخلافة كان محكم التَّنظيم فقد كان مقرونا بالبصيرة وسداد العقل، وحريصا على تطبيق ما يجلب الخير والصَّلاح والاستقرار للبلاد والعباد، حيث تمَّ الفصل بين المهام العسكرية عن المهام الإدارية والجبائية، سعيا بذلك لكسر شوكة القيادات العسكرية والمتنفِّذين في

---

[1] ابن حيان: **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تح: عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة، (د، ط)، لبنان، بيروت، (د، ت، ط)، ص 193.

[2] سالم عبد الله خلف، المرجع السابق، ص 498.

[3] **محمد بن القاسم بن طملس**: وهو قائد الحكم وكان يشتغل في أيامه منصب وزير الحشم، وتولى وزير المظالم في عهد أبيه الناصر، توفي سنة 362هـ. أنظر المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 389. ابن خلدون: المصدر السابق، ج8، ص 432. ابن حيان، المصدر السابق، ص 96.

[4] **وزياد ابن أفلح**: وهو مول الناصر عبد الرحمان بن محمد، كان من وزراء الدولة العامرية وكبار رجالها، توفي سنة 368هـ. أنظر ابن الابار: **الحلة السيراء**، ج1، ص 278. الزركلي: المصدر السابق، ج3، ص 54.

[5] محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 489، 495.

[6] عبد القادر بن علي: **الدور السياسي والحضاري للخليفة الحكم المستنصر بالله**، رسالة ماستر، تخصص التاريخ السياسي والحضاري للأندلس، إش: بوداعة نجادي، جامعة طاهر مولاي، الجزائر، سعيدة، 1436-1437هـ، 2015-2016م، ص 16.

خطط الدَّولة بحيث لا يستطيعون تزعُّم وإثارة حركات التَّمرد في البلاد، التي طالما أعيت كاهل الدَّولة الأموية في العصر السابق.[1]

نستنتج مما سبق أنَّ الحكم المستنصر يدرك تماما مدى أهمية استباب الأوضاع الدَّاخلية لدولته ويهتمُّ بتوفير الأمن فيها لكي يتمكَّن بذلك من تصويب أنظاره وتوفير جهوده وتوحيدها نحو الخارج ويستطيع مقاومة الأخطار المحدقة به ويطيح بالمتربِّصين به وبملكه، ويهتم بتوسيع رقعته الجغرافية بدل الانشغال بحلِّ المشاكل والقلاقل الدَّاخلية.

المبحث الثاني: سياسة الحكم المستنصر تجاه العالم المسيحي.

أ- الممالك النصرانية :

لقد اتبَّع الحكم المستنصر سياسة أبيه في مجال العلاقات مع الممالك النصرانية. ومع وفاة أبيه النَّاصر طمع الجلالقة في الاستيلاء على الثُّغور في عهده،[2] وتتجلى مظاهر التَّمرد والطَّمع عندما نكث شانجة للعهد الذي قام بينه وبين النَّاصر من أجل استرداد عرشه واشترط عليه الخليفة النَّاصر أن يهدم بعض الحصون الواقعة على الحدود.[3]

وقد قام الحكم المستنصر بالغزو بنفسه ضدَّ هذا العدوان فبادروا إلى عقد السِّلم معه وتراجعوا عما كانوا عليه. وبعدها غزى غالبا مولاه بلاد جليقية وتابع السَّير إلى مدينة سالم قبل دخوله لأراضي الممالك النصرانية، فالتقى مع الجلالقة وهزمهم شرَّ هزيمة، وتجمعت الجيوش في بلاد فردلند القومس وأربكهم في حين كان شانجة بن رذمير ملك البشكنس قد انتفض فردَّ عليها الحكم بالغزو.[4]

كما أن الملك المخلوع أردونيو الرَّابع استفاد من التَّوتر القائم بين سانشو الأول وحكومة قرطبة، فلجأ إلى إرسال الوفود إلى الخليفة المستنصر يطلب منه المساعدة لاسترداد عرشه بليون وقام الخليفة الحكم المستنصر باستقباله بكلِّ حرارة وحفاوة على الطَّريقة الملكية ووعده بالخير.[5]

---

[1] محمد المنوني، محمد رزوق، إبراهيم القادري بوتشيش، وآخرون: **التاريخ الأندلسي من خلال النصوص**، الدارس للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، الدار البيضاء، 1412هـ، 1991م ص 40.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق،ج4 ، ص 312.

[5] عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الاندلس** ، عص1، قس1، ص 593.

[6] ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 312-313

[5] انتصار محمد صالح الدليمي: المرجع السابق ، ص 92

ومن الأعمال والإنجازات التّي قام بها المستنصر للتصدّي لأي عدوان خارجي أنَّه كان يعدُّ العدَّة لأي هجوم طارئ، فقد أمر قوَّاد الثُّغور بوضع جميع الاستعدادات واستكمالها بسرعة.[1] وكان ذلك سنة 353هـ/964م. ومن بين تلك الثُّغور التّي أمر باستكمالها وتشيدها ثغر طليطلة. يقول ابن عذاري: "أنفد المستنصر بالله أحمد بن نصر لبنيان مدينة بثغر طليطلة وتشيدها وتوثيق أمورها، وجعل بين يديه أحمال الأموال".[2]

وبفضل تلك الإجراءات والاستعدادات التّي قام بها الحكم المستنصر كانت له عدَّة غزوات، ففي سنة 352هـ/963م، غزا المستنصر بلاد جليقية، فدخلها وقام بتدميرها وأهدم قلاعها، وقتل رجالها، وسبى نساءها، وبعدها عاد إلى قرطبة، فقام بالصَّلاة في الجامع وخرج بعدها إلى الزَّهراء،[3]

وقد أمر الحكم قوَّاده بغزو برشلونة وبشكنسة،[4] وتمكَّن القائد غالب بن عبد الرحمان فيها من احتلال حصن قلهرة التَّابع لها،[5] ويذكر لنا ابن خلدون قائلا: "وكان من أعظمها فتح قلهرة من بلاد البشكنس على يد غالب فعمرها الحكم و اعتنى بها."[6] كما أن الحكم استولى على حصن غرماج على نهر دويرة التَّابع لأراضي قشتالة سنة 352هـ/963م.[7]

كما أنَّ سياسة الحكم المستنصر بالله في تحصين دولته وإنشائه للثُّغور التي وقفت لصدِّ هجمات أرهقت كاهل النَّصارى حتى جعلهم يرسلون الرُّسل سفارات لطلب الهدنة والصَّلح نذكر منها السفارة التي أرسلت في شعبان سنة 360هـ/971م، إلى البلاط الأموي من طرف أمير برشلونة الكونت بوريل سعيا منه لتجديد علاقة الموَدَّة والصَّداقة بينهما، وأرسل معهم ثلاثين (30) أسيرا من المسلمين. وفي السَّادس من ذي الحجة سنة 360هـ/971م، قدمت الرَّاهبة إلبيرة[8] وهي الوصيَّة على

---

[1] عبد القادر بن علي: المرجع السابق، ص 18.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق ، ج2 ،ص 236.

[3] مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص 214.

[4] مؤلف مجهول: **ذكر الأندلس**، ص 173.

[5] خليل ابراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق ، ص 189.

[6] ابن خلدون: المصدر السابق ، ص 313.

[7] خليل ابراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق ، ص 189.

[8] ويسميها ابن حيان في كتابه بإثم حلويرة أو حلورية أنظر ابن حيان: المصدر السابق، ص 36، 235.

ملك ليون، فقابلها الحكم بكل مظاهر التَّرحيب.[1] وبعث ملك الرُّوم بهدية، وهي عبارة عن فسيفساء عددها ثلاثمائة وعشرون قنطارا لتزيين المسجد الجامع بقرطبة.[2]

ب– النورمان :

تمكَّن النُّورمان[3] من إقامة إمارة شبه مستقلَّة في أراضي المملكة الإفرنجية التِّي وعدهم بها ملك الفرنجة شارل الثَّالث البسيط، وكانت هذه الإمارة الجديدة بالقرب من الجزيرة الإيبيرية التِّي أَلِف النُّورمان الهجوم على الأندلس في مناسبات عديدة، خاصَّة أنَّها كانت تمثِّل لهم مصدر رزق نتيجة للثَّراء والازدهار التي كانت تتميَّز به عن بقيَّة الأول الأوربية، فكانت بذلك محلَّ أطماع كل متربِّص بها.[4] وقد ظلَّ وجودهم في المنطقة يشكِّل خطرا يهِّدد أمنها، خاصَّة في الثُّغور والسَّواحل.[5]

وفي أوَّل رجب سنة 355هـ/966م، صارت لهم قاعدة ثابتة هي ولاية نورماندیا كتاب من قصر أبي دانس على المستنصر يذكر فيه ظهور أسطول المجوس بالقرب من بحر الغرب فحدثت حالة اضطراب لسكَّان ذلك الساحل. و قد كان أسطول المجوس يحوي حوالي ثمانية و عشرين مركبا، فقاموا بالهجوم على السَّواحل كما يقول ابن عذاري: "وقد أضرُّوا بها"[6]

و كان رد فعل المستنصر ضدَّ هذا العدوان أنَّه أخرج قادة السَّواحل للاحتراس، و أمر قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بتعجيل سرعة الأسطول وتحرُّكه.[7] وقد التقى الجيشان، فدارت بينها الحرب، وقتل فيها الكثير من المسلمين والمجوس ، ثمَّ خرج إليهم أسطول من إشبيلية فاقتحموا عليهم

---

[1] محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** ، عص1، قس1، ص 690

[2] ابن عذاري: المصدر السابق ، ص 244

[3] **النورمان:** هم سكان الشمال الذين يقطنون شبه الجزيرة الأسكندنافية في الكرف الجغرافي الشمالي الغربي من القارة الأوربية، وهم منم قبائل الجرمان، ونجد تسميات مرادفة لهذا المصطلح في المصادر وهي: الفايكنج، أو المجوس، أو المشركين، أو المجوس الأردمانيون. أنظر ميلود بن حاج: **الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمان الثاني**، رسالة ماجيستير، تخصص تاريخ وسيط، إش، سامية أبو عمران، جامعة الجزائر، الجزائر، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص41-42.

[4] وفاة عبد الله المزروع: المرجع السابق، ص 69-70.

[5] سامية مصطفي مسعد: المرجع السابق، ص 36. أنظر الملحق رقم: 10

[6] ابن عذاري: المصدر السابق، ص 239.

[7] المقري التلمساني: المصدر السابق، ص 384.

وادي شلب،[1] وحطَّموا العديد من مراكبهم، بعد أن خلَّصوا الأسرى الذين كانوا على ظهورها، وقتلوا الغزاة وتمكَّنوا من طردهم.[2]

وقد تحرَّك النُّورمان من أراضيهم الشَّمالية للإغارة على الأندلس في شهر رمضان سنة 360هـ/971م، ولما علم الحكم بذلك أعدَّ لهم العدة، ويذكر ابن حيان ذلك بقوله: " وقع الارتجاف منها بتحرُّك المجوس الأردمانيين –لعنهم الله– وظهورهم في البحر الشَّمالي ورَوْمِهم سواحل الأندلس الغربية على عادتهم. فانزعج السُّلطان لما سيق إليه خبرهم وعهد إلى عبد الرحمان بن رماحس قائد البحر وهو حاضر بقرطبة بالخروج إلى المرية والتَّأهب للركوب ناحية الغرب، فنفذ لأمره يوم الاثنين لست خلون من شهر رمضان، وكان حاضرا يومئذ بقرطبة، فخصَّه بالتَّكلم معه فيما طرقه من خبر هذا العدو المرهوب جانبه، وأهاب به له وحول إليه صائفة عامة الآزفة، وقلَّده العود لها والتَّهمم بها برا وبحرا لضلاعته وغنائه، وعلمه بثقوب نظره ومحمود اكتفاءه، وحدَّ له حدودا أمره بالتزامها والوقوف عليها وبسطه أتمَّ بسط وقربه أفضل تقريب واستودعه الله عزَّ وجل وامره بالنهوض والأخذ في شأنه فودع وانطلق وهو يشيعه بدعائه، ويسأل الله له وللمسلمين جميل صنعه وحسن عافيته."[3]

وفي يوم السَّبت لخمس بقين من رمضان في السنة نفسها وفد للحكم رسول القومس غندشلب بن مسرة يعلمه بدخول النُّورمان نهر دويرة، وأنَّهم خرجوا في غارة إلى شنتبرية. فقد كان هذا الرسول بمثابة تنبيه للحكم لإعداد العدَّة للوقوف في وجه الزَّحف النُّورماني.[4] ولما وصل غالب إلى إشبيلية ورتَّب عدته وجهَّز أسطوله، وردته أنباء عن عودة النُّورمان إلى مناطقهم بعدما علموا بأنَّ المسلمين قد أعدوا العدَّة لمواجهتهم.[5]

---

[1] **شلب**: مدينة بغرب الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة، وهي قاعدة ولاية أشكونية، وليس بالأندلس بعد إشبيلية مثلها. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 357.

[2] عبد الوهاب عيفة: **الغزو النورماندي لفرنسا وإسبانيا**، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ وسيط، إش، باقة رشيد، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 1435-1436هـ/2013-2014م، ص 94- 95.

[3] ابن حيان: المصدر السابق، ص 24-25.

[4] ابن حيان: المرجع السابق، ص27.

[5] عبد الوهاب عيفة: المرجع السابق، ص 99.

وقد أعاد النُّورمان تحرُّشهم بالسَّواحل الأندلسية في سنة 361هـ/978م، حيث وقف لهم أمير البحر غالب بن عبد الرحمان النَّاصري بالمرصاد، فردَّهم عن الأندلس وجعل الله على يده النَّصر ورجع إلى قرطبة منتصرا.[1]

نستنتج أنَّ الحكم قد أبدى اهتمامه بالأسطول البحري الذي عمل على تقويته كونه الجدار المنيع الذي لصدِّ هجمات البحرية للنُّورمان والعبيديين.

كما أنَّ هذه الانتصارات التي حققها الحكم وقادته أثَّرت بشكل أو بآخر على الرَّعية من الجانب الاجتماعي والفكري في الأندلس، وقد مدحه بعض الشُّعراء تهنئة على النَّصر الذي حقَّقه، حيث يقول الشَّاعر محمد بن شخيص في مدح الخليفة المستنصر وقائده غالب النَّاصري:

بِسَعْدِكَ يُبْلِيْ غَـــالِب لَا بِيَـأْسِهِ فَأَنْتَ وَلِيُّ الشَّكْـــرِ فِيْ كُـلِّ مَا أَبْـلَى
رَمَيْتَ بِهِ جَيْشَ المِجُـوْسِ عِنَـــايَةً بِتَحْصِينَكَ التَّـقْوَى وَتَـأْمِيْنِكَ السُّبُلَا
وَلَمَـــا أَحَاطَتْ بِالمِحِيْـــطِ جُنُودِهُ فَلَمْ تَبْقَ مِنْ شطَيْهِ عَلْـــواً وَلَا سُـفْلَا
سِرْتَ تَخْبِطُ الظَّلْمَاءِ وَالمَوْجُ مِثْلَمَا سَرَى الظَّعْنَ فِي الدَّهْنَاء يَعْتَسِفُ الرَّمْلَا
أَسَاطِيلُ هُنَّ المَوْت أَو في طِبَاعِـهِ لِإِيقَـــاعِهَا بَطْشـــاً وَاتْبَاعِهَـــا رُسُـــلَا[2]

ت– الفرنجة :

لقد كانت العلاقات الدَّولة الأموية في الأندلس مع الفرنجة متأرجحة ما بين الودِّ والحرب، فكان لكل أمير أو خليفة أموي مواقف تجاه هذه الدَّولة نظرا للظُّروف المحيطة به. ولقد كانت العلاقات الأموية مع الفرنجة في عهد الخليفة الحكم المستنصر ذات طابع ودي دُّبلوماسي يتمثَّل في إرسال سفارات ورسل إلى البلاط الأموي. وكانت تتمثل سفارتين وهي:[3]

السِّفارة الأولى: وهي السِّفارة التي وفد فيها رسول ملك الإفرنج هوتو المسمَّى بعمر ابن عم داؤود القومس سنة 360هـ/971م، حاملا كتابه للخليفة المستنصر يطلبه فيها تجديد صلته وولاءه له.[4]

---

[1] عبد الرحمان علي حجي: **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، ص 311.

[2] عبد الوهاب عيفة: المرجع السابق، ص 101.

[3] عبد الرحمن علي الحجي: **العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية**، المجمع الثقافي، (د، ط)، الإمارات، أبو ظبي، 1425هـ، 2004م، ص 358.

[4] ابن حيان: المصدر السابق، ص 169.

السِّفارة الثانية: وهي التي بعث فيها قومس الفرنجة برسل إلى الحكم يوم السَّبت التَّاسع من ذي القعدة 363هـ /974م،[1] والتي تصادفت مع إرسال ملك برشلونة وطركونة[2] وغيرها بسفرائهما يجددان العهد ويقرآن على ما كانا عليه. وقد أهداه عشرين صبيا من الخصيان الصَّقالبة وعشرين قنطارا من الصُّوف، وخمسة قناطير من الفرصدس، وعشرة أدرع صقلية، ومائتا سيف إفرنجية، فقبل المستنصر هديته شرط أن يهدموا الحصون التَّابعة له قرب الثُّغور، وأن يحسن إلى رعيته في بلدانهم.[3]

المبحث الثالث: سياسة الحكم المستنصر تجاه العالم الإسلامي.

أ- العبيديون:

عندما تولَّى المستنصر بالله الحكم حرص على اتباع سياسة أبيه النَّاصر ضدَّ العبيدين الشَّيعة باعتبار أنَّ وجودهم في شمال إفريقيا يشكِّل خطرا وتهديدا لأمن وسلامة دولة الإسلام في الأندلس.

وكان الحكم المستنصر في منتهى الحيطة والحذر فقد كان يبعث الرُّسل و الجواسيس للتَّعرف على أحوالهم و يوزِّع الأموال لكسب واصطناع الحلفاء في المغرب.[4]

وفي سنة 353هـ تحرَّك بنفسه من قرطبة إلى المرية تأهُّبا واستعدادا منه لأيِّ هجوم مرتقب قد يصدر من صاحب إفريقية[5] الذي يسعى لبسط نفوذه على المنطقة.[6] وعلى ما يبدو أنَّ العبيديين شعرو باستحالة غزوا الأندلس، وأن بقائهم بالمغرب أمر محفوف بالمخاطر أمام غارات الأمويين

---

[1] عبد الرحمن الحجي: **العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية**، ص 359.

[2] **طركونة:** بلدة بالأندلس متصلة بأعمال طرطوشة، وهي مدينة قديمة على شاطئ البحر. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 32.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ص 187.

[4] عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق ، ص 397.

[5] **إفريقية:** هي مدينة مبنية من الصخر على ساحل البحر الروم، خصبة واسعة الكورة، حصينة جدا، وتسمى حاليا تونس. أنظر الأصطخري: المصدر السابق، ص 38.

[6] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 236.

ودسائسهم،[1] وثورات البربر المتزايدة ومستمرَّة في العدوة المغربية.[2] ولعلَّه كان السَّبب الحقيقي والمباشر الذي جعل العبيدين يخطِّطون ويصمِّمون على إخلاء بلاد المغرب و التَّوجه إلى مصر.[3]

ورغم رحيلهم الفعلي إلى المشرق واستقرارهم بمصر إلَّا أنَّ العلاقة بين الطَّرفين ظلَّ يسودها العداء. وقد استمرَّت السِّيادة العبيدية و السِّيادة الأندلسية على المغرب تعتمد على مبدأ المنافسة بين قبائل صنهاجة وزناته و ضرب بعضهما ببعض من خلال إثارة الفتن من خلف السِّتار. كما أنَّ القوى كانت متوازنة بين الخلافتين نوعا ما. فقد تمكَّنت صنهاجة (الدولة الزيرية) من بسط نفوذها باسم العبيديين على النِّصف الشَّرقي من المغرب، في المقابل نجد النِّصف الغربي تسيطر عليه زناتة خليفة الأمويين.[4]

إنَّ العداء بين العبيديين و الأمويين (المستنصر بالله) لم يكن شخصيا بين الخلفاء فحسب بل كان موقفا دائما لا يتغيَّر بتغيُّر الحكَّام، لأنه حتَّى بعد وفاة المعز لدين الله العبيدي سنة 365هـ/976م، لم ينته العداء بينهما، فقد استمرَّ في عهد الخليفة العبيدي العزيز بالله بمصر حيث أرسل للأندلس كتابا يسبُّ فيه الحكم بكلام سيء و يهجوه فيه.[5]

و بالرَّغم من هذا العداء إلَّا أنَّه هناك بعض التَّحالف التي جمعت بينهم، حيث نجد الحكم المستنصر نجح في الحصول على ولاء جعفر بن علي بن حمدون[6] الذي كان يحكم مناطق جنوب شرق قسنطينة لصالح الفاطميين، وهذا الأخير تحالف مع زناتة وقاده ذلك إلى التَّلاقي والتفاهم مع الأمويين.[7]

---

[1] أحمد مختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس** ، ص 213.

[2] سامية مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص 36.

[3] أحمد مختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس** ، ص 213، 214.

[4] خليل ابراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص 186.

[5] وفاء عبد الله المزروع:المرجع السابق، ص 109.

[6] **جعفر بن علي بن حمدون:** المعروف بالأندلسي، صاحب المسيلة والزاب، كان من مشاهير الفرسان والقادة البربريين من زناتة، عبر الأندلس واشتغل منصب الوزارة في عهد المنصور بن ابي عامر، وكان يعتمد عليه في استقطاب البربر من العدوة المغربية. أنظر محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 538. ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص 37.

[7] عبد المجيد نعنعي: المرجع نفسه، ص 398.

ب– البربر (زناته):

أمَّا بالنسبة لسياسة الحكم مع قبائل المغرب، فقد كانت تسعى لخلق صراع بينهم للحفاظ على نفوذه في المنطقة، علما أنَّه لم يرث من نفوذ أبيه في شمال إفريقيا سوى منطقتين هما سبتة وطنجة، لكن الحكم المستنصر لم يترك الوضع يتأزَّم عليه، فأراد أن يواجه الموقف بجديَّة أكبر فيما يخصُّ علاقته بالعداء الشَّديد مع العبيديين فقد اتَّخذ عدَّة خطوات لكي يدعم سياسته الذَّكية هذه، حيث عمل على توطيد علاقته بزعيم زناته محمد بن الخير[1] المعادي للعبيدين،[2] وتتجلَّى مظاهرها في دخول عساكر الحكم المستنصر إلى أرض العدوة من المغرب الأقصى والأوسط، وعملوا على نشر دعوته لدى ملوك زناته من مغراوة ومكناسة، وقاموا بتطبيقها في أعمالهم وخطبوا بها في منابرهم وأصبحت مزاحمة لدَّعوة الشيعة في أرض المغرب، وقد قدمت وفود من قبائل بني خزر وبني العافية تعبيرا منهم عن نصرته والدَّعوة له، فاستقبلهم المستنصر أحسن استقبال.[3] وبعدها ولَّى جعفر بن علي بن حمدون على رأس بلاد العدوة.[4]

ومن خلال هذه الخطوة التي قام بها الحكم المستنصر مع قبيلة زناتة أصبح لنا تصوُّر عن الوضع السَّائد في شمال إفريقيا آنذاك وهو الصِّراع بين قبيلتي صنهاجة وزناتة الأكثر نفوذا في شمال إفريقيا حيث أصبحت صنهاجة في صفِّ العبيدين الذين عيَّنوا الزَّعيم زيري بن مناد الصنهاجي[5] خليفة لهم في المغرب.[6]

---

[1] **محمد بن الخير**: وهو أكبر ملوك المغرب سلطانا على زناتة وغيرهم، وقد هجم عليه أبو الفتوح زيري بن مناد وهو في قليل من أصحابه يشرب، فلما أحيط به قتل نفسه بسيفه في سنة 360هـ. أنظر المقريزي: **إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، (د، ط)، لبنان، بيروت، (د، ت، ط)، ج1، ص198.

[2] محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 350، 351.

[3] المقري التلمساني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص 385.

[4] مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس، ص 212.

[5] **زيري بن مناد الصنهاجي**: وهو جد المعز بن باديس، وهو أول ملك في بيتهم، وهو الذي بني مدينة آشير وحصنها أيام خروج أبي زيد مخلد الخارجي لما خرج على القائم بن المهدي العبيدين كان حسن السيرة وشجاعا صارما، توفي سنة 360هـ. انظر الصفدي: المصدر السابق، ج15، ص 38.

[6] علي حسين الشطشاط: المرجع السابق، ص 187.

أمَّا زناتة قد اتَّجهت إلى التَّحالف مع الأمويين ضدَّ صنهاجة. ولم يكن دعم الحكم المستنصر للزَّناتيين مجرَّد أمر عادي أو بشكل عفوي، بل كان يطمح من خلاله لشيئين اثنين وهما:

- الاحتفاظ بالمواقع العسكرية التي كانت تحت سيطرة الأمويين مثل طنجة وسبتة
- إضعاف الحكم العبيدي في العدوة المغربية[1].

وأبرز مظاهر هذا العداء المواجهة العسكرية بين صنهاجة وزناتة فكان ذلك سنة 360هـ/970م حيث اجتمعت قوات من بني خزر أمراء زناتة ضدَّ الشِّيعة في إفريقية و صنهاجة. وكان جعفر ويحي ابني علي بن حمدون الذي يعرف بالأندلسي قد جهَّزا قواتهما ضدَّ زيري بن منَّاد الصنهاجي قائد العبيدين ودارت الحرب في رمضان عند منطقة وادي ملوية[2] وانتهت المعركة بهزيمة الشِّيعة وقتل زيري بن منَّاد الصَّنهاجي، وتمَّ الاستلاء على معسكره من طرف الزناتيين.[3]

ث- الأدارسة:

يعتبر وجود الأدارسة في المغرب الأقصى قديما في القرن الثاني إلَّا أنَّها ضعفت وتدهورت أحوالها بعد ظهور دولة العبيديين في المغرب، فانحصر وجودها في القرن الرابع في منطقة الرِّيف الشمالية بين غربي المضيق والمحيط الأطلسي،[4] وقد تحصَّنوا بعدها في مدينة حجر النسر[5]، وهي حصن مانع بناه أحد الأدارسة،[6] بعد أن خسروا مدينتهم فاس،[7] ولم تكن هذه الدَّولة حينها مستقلَّة بشكل مباشر فقد كانت تارة تحت حكم الأمويين، وتارة أخرى يستولي عليها العبيديون، وكانت تسعى من خلال ذلك للحفاظ على كيانها، لأنَّ الوقوف في وجه هذين القوَّتين سيعرضها للزَّوال لامحالة.[8]

---

[5] إبراهيم بيضون: المرجع السابق، ص 307.

[2] **وادي ملوية**: وهو نهر كبير من الأنهار المشهورة، يقع في وادي صاع، ويصب في البحر ما بين جراوة ابن قيس ومليلة. أنظر الأدريسي: المصدر السابق، ج1، ص 247. كاتب مراكشي: المصدر السابق، ص 177.

[3] سامية مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص 100.

[4] محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 352.

[5] **حجر النسر**: وهو قلعة منيعة تقع جنوب مدينة تطوان المغربية، بناها إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس. أنظر محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، عص1، قس1، ص 492. ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 214.

[6] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 214.

[7] **فاس**: مدينة مشهورة، كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش، وتضم مدينتين وهي عدوة القرويين، وعدة الأندلسيين. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 230.

[8] سامية مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص 99-100.

وقد كان الحسن بن قنون[1] الذي يعدَّ حاكم للدَّولة الإدرسية في القرن الرابع هجري، وكان هذا الأخير ينوي استعادة أمجاد بلاده، الأمر الذي جعله يتعاون مع أي طرف يمكنه من ذلك، فاستغل العبيديون ذلك فتحافوا معه ضد الأمويين، واستطاع بن قنون بمعيَّتهم الاستلاء على طنجة وتطوان وأصيلا وكان ذلك وإعلان ثورتهم سنة 362هـ/972م.[2]

ولما علم الحكم بذلك قرَّر غزوه لنكثه بالعهد، فدعا النَّاظر بالحشم محمد بن قاسم بن طملس لتجهيز الجيش وإعداد العدَّة لغزو الحسن، فخرج لمدينة سبتة[3] يوم السَّبت لإحدى عشرة بقيت من شوَّال في جيش مهيب. وقد جهَّز قائد البحر عبد الرحمان بن رماحس[4] أسطولا للقيام بهذه المهمَّة والتحق بالجيش.[5] ويوم الخميس في غرَّة ذي القعدة سنة 361هـ/972م وجه الحسن بن قنون قوَّاته للتصدِّي لهم، إلَّا أنَّهم لم يستطيعوا الصُّمود في المعركة، فانهزموا أمام الجيش الأموي، وولُّوا مدبرين، وبعد أن رأى بن قنون ما وقع بجيشه فرَّ هاربا إلى الجبال مع ما تبقَّى من أعوانه،[6] وتمكَّن محمد بن القاسم حينها من استرداد أصيلا والسَّيطرة على مدينة دلول.[7]

---

[1] **الحسن بن قنون:** هو الحسن بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان جاهلا متهورا، فظا، شديد الجرأة قاسي القلب. أنظر المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شر: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، لبنان، بيروت، 1426، 2006، ص 47. محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 499.

[2] ابراهيم بيضون: المرجع السابق، ص 308.

[3] **سبتة:** وهي بلدة مشهورة، من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، تقابل بلاد الأندلس، وتقع على مضيق طارق، وهي أقرب بلاد المغرب للأندلس. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 182.

[4] **عبد الرحمان بن رماحس:** هو عبد الرحمان بن محمد بن رماحس، قائد القوات البحرية الأندلسية، يسميه ابن حيان يسميه صاحب الشرطة العليا قائد البحر، وهو أشهر أبناء أسرته في تاريخ الدولة الأموية. أنظر سالم عبد الله خلف: المرجع السابق، ج1، ص 326.

[5] ابن حيان: المصدر السابق، ص 57- 58.

[6] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 245.

[7] محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص 353.

ظلَّ الحسن بن قنون عازما على عدم الاستسلام لقوَّة الجيش الأموي، وما لبث أن تمكن من جمع فلول جيشه في السَّنة التَّالية 362هـ/973م باغت الأمويين في فحص مهران،[1] وفي تلك المعركة قتل محمد بن القاسم،[2] قائد الحكم المستنصر وقتل معه خلق كثير من أصحابه، وفَّر الباقون فدخلوا سبتة وتحصَّنوا بها وكتبوا إلى الحكم يستغيثون به.[3]

أراد الحسن أن يستغلَّ نصره على جيش الحكم بإقباله لعقد الصُّلح معه مبررا ذلك بذرائع واهية، وعمل على تبادل الرَّهائن بينهما وأظهر ولاءه للحكم اتقاءً لبطشه،[4] وأدرك الحكم المستنصر ضرورة اجتثاث معاقل الأدارسة في المغرب ممَّا جعله يستدعي قائده غالب بن عبد الرحمان من ثغر مدينة سالم،[5] فقدم هذا الأخير إلى قرطبة رفقة جنوده في جمادى الآخرة سنة 362هـ، ودعم الخليفة صفوفه بالجند الكثيف والعتاد الضَّخم، واستكثر له من الأموال لاستمالة البربر بها، وأمره بأن يستأصل الأدارسة ولا يتساهل معهم أبدا، وأوصاه قائلا: " يا غالب سر مسير من لا إذن له في الرُّجوع إلا حيا منصورا أو ميتا معذورا، ولا تشُّح بالمال وابسط يدك به يتَّبعك النَّاس".[6]

وفي هذه الأثناء ورد كتاب من قبل قوَّاده بمدينة أصيلا يذكرون فيه أنَّهم تكبَّدوا خسائر معتبرة جراء مقاومتهم للثَّائر بن قنون، وقد أسر رئيس لوائه يحي بن قشَّاش، وأرسل إليهم الحكم بدوره جواب يخبرهم فيه بعدم التَّعرض لابن قنون ومحاربته ريثما يلحقهم الدَّعم القادم من الأندلس.[7]

---

[1] **فحص مهران**: وقد ورد في مصادر أخرى بفحص بني مصرخ يقع بأحواز طنجة. أنظر عبد القادر بوباية: **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري**، دار الكتب العلمية، (د، ط)، لبنان، بيروت، 2011م، ص172. بن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د، ط)، المغرب، الرباط، 1972م، ص 92.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 246.

[3] الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، (د، ط)، المغرب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ج1، ص 256-257.

[4] محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 495.

[5] **مدينة سالم**: مدينة بالأندلس تتصل بأعمال باروشة، كانت من أعظم المدن وأشرفها وأكثرها شجرا وماء، ولما فتحت الأندلس وجدها طارق بن زياد خرابا وعمرت في الإسلام. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 172.

[6] الناصري: المرجع السابق، ج1، ص 257.

[7] ابن حيان: المصدر السابق، ص 77.

فخرج غالب متوجّها إلى المغرب، عابرا المضيق من الجزيرة الخضراء في رمضان سنة 362هـ/973م وعند وصوله انضمت إليه الجيوش الموجودة هناك، كما التحقت به أفواج أخرى من الأندلس مثل كتيبة الوزير يحي بن محمد التَّجيبي والتي كان من ضمنها المنصور بن أبي عامر جنديا فيها وكان وقتئذ شخصية مغمورة،[1] وهمَّ غالب قائد الجيش الأموي بمطاردة الثَّائر حسن بن قنون وجماعته، حيث لجأ هذا الأخير إلى قلعة حجر النسر متحصنا بها، ورغم مقاومته الشَّديدة إلا أنَّه أصيب بالإحباط لما تولَّت عنه جماعات من البربر بعدما أغراهم غالب بالأموال، فاستسلم الحسن ومن معه، وطلب من غالب الأمان فكان له ذلك.[2]

وفي سنة 364هـ/975م عاد غالب إلى الأندلس ومعه حسن بن قنون وأتباعه من ملوك بنو ادريس الحسنيين، وبرفقة شيخهم أحمد بن عيسى المعروف "بحنون" صاحب مدينة الأقلام، وتمكَّن بذلك من القضاء على دولة الأدارسة والحفاظ على نفوذه في المغرب الأقصى.[3]

واستمرت الأمور حسنة بين بن قنون والحكم إلى سنة 365هـ/976م، توَّترت العلاقة بينهما، وكان السَّبب في ذلك أنه لما أراد الحكم ضمَّ قطعة عنبر كبيرة كان يتوسَّدها الحسن بن قنون إلى ذخائره،[4] فأمتنع الحسن وأبى أن يسلِّمها له، فنكبه عليها وسلبه جميع أمواله والقطعة أيضا، وأمر الخليفة بإخراجه وإخراج عشيرته من قرطبة وأرسلهم للمشرق، فانطلقوا من ميناء المرية متوجِّهين إلى تونس في السَّنة نفسها.[5] وهناك سبب آخر لتهجيرهم من الأندلس وهو أنَّهم استثقلوا على الحكم بكثرة نفقاتهم، فتوجَّس منهم شرا، بالإضافة لسوء خلق الحسن، غير ناسيا ما فعله بجيشه في المعارك التي دارت بينهم في المغرب وقد خسر فيها الحكم المستنصر خيرة جنوده. وارتحل الحسن بن قنون إلى مصر وتمَّ استقباله من طرف الخليفة العزيز بالله العبيدي، فأكرمه ووعده بالثَّأر له.[6]

---

[1] علي حسين الشطشاط: المرجع السابق، ص 190.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 291-292.

[3] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 248.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 292.

[5] الناصري: المرجع السابق، ج1، ص 258-259.

[6] سامية مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص 106

الفصل الثالث: دور الحكم المستنصر بالله الحضاري

- المبحث الأول: شخصية الحكم المستنصر العلمية
- المبحث الثاني: تشجيعه للحركة العلمية في الأندلس
- المبحث الثالث: المراكز التعليمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر بالله.
- المبحث الرابع: دوره في الجانب المعماري.

رغم أنَّ الحكم المستنصر اهتمَّ بتنظيم دولته وحرص على إرساء السَّلم والأمن فيها إلَّا أنَّه لم يهمل الجانب الحضاري الذي أعطاه جانبا كبيرا ومن وقته وسخَّر له جميع الوسائل، وكرَّس كل جهوده من أجل نشر العلم والتَّعليم والثَّقافة الإسلامية في أنحاء البلاد.

ولقد كانت الأندلس في عهده "زينة الدُّنيا" حسب وصف الشَّاعرة السَّاكسونية هرمونيا لها.[1] وكانت عاصمتها قرطبة منبعا للإشعاع الحضاري الذي عمَّ أرجاءها، ولشخصية الحكم دورا هاما وسببا مباشرا جعلها تصبح أعظم مركز ثقافي للغة والأدب والفقه في العالم الإسلامي بأسره في تلك الفترة، فماهي هي أبرز سمات هذه الشَّخصية الفذَّة؟

المبحث الأول: الحكم المستنصر عالما وفقيها (شخصية الحكم المستنصر)

أ- مكانته العلمية:

لقد تفرَّد الحكم المستنصر عن بقية حكَّام الأندلس في اهتمامه بالعلم والعلوم فلم يكن في بني أميَّة أعظم همَّة ولا أجلَّ رتبة في العلم وغوامض الفنون منه[2]، وكان من أهل الدِّين والفضل والورع، وعالما ثبتا، وافيا زاكيا، عارفا بالمذاهب، وحافظا للتَّواريخ وأيام الناس،[3] يقول فيه ابن الخطيب:

" كان مميِّزا للرِّجال من كل عالم وجيل وفي كل مصر أو آن، تجرَّد لذلك، وتهمَّم به، فكان في ذلك حجَّة وقدوة وأصلا يوقف عنده."[4] ومن شدِّة حبه للعلوم أصبح مولعا بجمع الكتب على مختلف أنواعها.[5] وقد شبَّهه بعض المؤرخين المحدثين "بدودة الكتب" لأنَّه كان يدفن نفسه في خزائن كتبه[6] وكان شديد المطالعة لها معتمدا على أسلوب التَّحليل ونقد المعلومات وتمحيصها، بحيث كان يقرأ الكتاب ويكتب فيه بخطِّ يده إمَّا في أوَّله أو آخره أو في تضاعيفه ما يمتُّ بصلة للمؤلف مع

---

[1] ج، س، كولان، **الأندلس**، تر: ابراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1980م، ص 122-123.

[2] ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مر: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، (د، ط)، الجزائر، الجزائر، (د، ت، ط) قس2، ص 30.

[3] مؤلف مجهول، **تاريخ الأندلس**، ص 211.

[4] ابن الخطيب، **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، ج2، ص 42.

[5] السيد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، مصر، اسكندرية، 1997م ج1، ص61-62.

[6] علي الجارم بك: **قصة العرب في اسبانيا**، مطبعة المعارف، (د، ط)، (د، م، ط)، (د، ت، ط)، ص 136.

التَّعريف به وذكر الأنساب المروِّية له[1] وشبَّهه بعض الدَّارسين بالخليفة المأمون العبَّاسي في معرفته بالطِّب والفلسفة والفلك بالإضافة إلى العلوم الدِّينية واللُّغوية والأدبية.[2]

وقد قارن آخرون بينهما في أسلوبهما في الاعتناء بالكتب، إذ أنَّهم وصفوا الحكم المستنصر بأنَّه عمل جاهدا على توفير الشُّروط اللَّازمة لتحقيق نهضة علمية، وتميَّزت مساهمته فيها بجمع وحشد وتكديس للكتب أمَّا الخليفة المأمون فقد تميَّزت الحركة العلمية في عهده حركة ترجمة ونسخ.[3]

ولكن في حقيقة الأمر كان الخليفة الحكم عكس ذلك، فقد كان واسع الاطِّلاع على الكتب وغزير العلم، فقد اكتسب بذلك ملَكة التَّمحيص والنَّظر في المعلومات الواردة في الكتب ويصحِّح ما أخطأ فيه غيره من العلماء فلم يهتمَّ بجمعها فحسب، بل عمل على الرَّد عليها ومناقشة ما ورد فيها ببصيرة وحكمة.[4] كما أنَّه كان جمَّاعا للتُّحف القديمة، ويتجلَّى لنا ذلك من البقايا التي وجدت في خزائن صغيرة بقصره في مدينة الزَّهراء، والتي تتمثَّل في ناووسين كبيرين من الطِّراز اليوناني الروماني.[5]

ب- أساتذته:

ولم يكتف الخليفة الحكم بجهده الشخصي فقط في تحصيله للعلم بل استعان بعلماء كانوا له أستاذة وموجِّهين، فقد درس علوم الدِّين من حديث، وتفسير، وفقه، على يد العلَّامة قاسم ابن اصبغ[6] الذي رحل إلى المشرق وجلب معه مصنَّفات وعلوما كثيرة واستفاد الحكم منها بشكل كبير.

---

[1] ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج1، ص 202.

[2] السيد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس**، ج1، ص 62.

[3] وفاء عبد الله بن سليمان المزروع، المرجع السابق، ص 138.

[4] سعد عبد الله صالح البشري: **الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، (د، م)، تخصص التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، السعودية، 1418هـ، 1997م، ص 74.

[5] السيد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج1، ص61-62.

[6] **قاسم ابن اصبغ**: هو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك المرواني من أهل قرطبة، يكنى بالبيَّاني، سمع من بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح وغيرهم، رحل إلى المشرق لتحصيل العلوم، فسمع من مشائخ مكة ومصر، وكان بصيرا بالحديث والرجال، نبيلا في النحو والغريب والشعر، توفي سنة 340هـ. أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 406-408.

كما أنَّه درَّس إخوته أيضا، وأحضر إلى قصره العالم اللُّغوي علي ابن معاذ سمعان بن موسى الرعيني[1] وهو من أهل الأدب واللُّغة إلى جانب معرفته بعلم التَّاريخ والأنساب، فاستفاد من علمه الكثير.[2]

وأدَّبه محمد بن اسماعيل المعروف "بالحكيم"،[3] وسمع من آخرين أمثال أحمد بن دحيم بن خليل[4] ومحمد بن محمد بن عبد السلام الخشني،[5] وسعد بن جابر،[6] واستقدم كل من زكرياء بن خطَّاب التِّيطلي الذي روى عنه الحكم كثيرا من الأخبار، ومحمد بن مروان بن الغشاء البطليوسي.

[1] **علي ابن معاذ سمعان بن موسى**: يكنى بأبي شيبة الرعيني، من أهل باجنة، وكان فصيحا شاعرا، عالما بالنسب، طويل اللسان مفوها، كثير الأذى، ويذكر ابن الفرضي أنه يكذب، توفي ببجانة في رجب 389هـ. أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1 ص 360. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 339.

[2] سعد عبد الله صالح البشري: المرجع السابق، ص 73.

[3] **محمد بن إسماعيل النحوي**: يكنى أبا عبد الله، كان عالما بالنحو والحساب، دقيق النظر، مثيرا للمعاني، مولدا لها لا يتقدم في ذلك، عاش 80 عاما، توفي لعشر خلون من ذي الحجة سنة 331هـ. انظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص54. ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1415هـ، 1995م، ج1، ص 290.

[4] **أحمد بن دحيم بن خليل**: ابن عبد الجبار بن حرب بن أبي حرب، قرطبي، أبو عمر، وكان معنيا بالآثار، حافظا للسنن، ثقة حمل كتب القاضي اسماعيل من العراق فزاد فهمه، ولي الشورى، ثم قضاء طليطلة وألبيرة، وبجانة، وتوفي في طاعون سنة 338هـ. أنظر القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص120.

[5] **محمد بن محمد بن عبد السلام الخشني**: هو محمد بن محمد بن عبد السلام بن ثعلبة بن زيد الخشني، من أهل قرطبة، ويكنى أبا الحسن، سمع من أبيه أكثر علمه، كان مشاورا في الأحكام، وكان قليل العلم بالفقه والحديث، كان موصوفا بالزهد، والفضل، توفي 333هـ. أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 55-56.

[6] **سعد بن جابر**: هو سعد بن جابر بن موسى الكلاعي، يكنى أبا إسحاق، من أهل اشبيلية، قرأ بمصر على يد أحمد بن سعيد وغيره، توفي سنة 224هـ. يقول ابن الأبار في كتابه التكملة لكتاب الصلة أن الحكم المستنصر سمع من سعد بن جابر إلا أن تاريخ وفاته كما أورده ابن الفرضي يكون قبل ولادة الحكم، فيكون بذلك هذا الخبر ضعيف نسبيا والله أعلم، أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 212.

وله شيوخ سوى هؤلاء وهم من أصحاب بقي ابن مخلد[1] ومحمد ابن وضاح[2] وعبيد الله ابن يحي وغيرهم، وهؤلاء من أعلام علماء الأندلسيين في زمانهم.[3]

وكان الحكم المستنصر يقضي معظم أوقاته في مدينة الزَّهراء حيث توفِّر له هذه المدينة الجو المناسب والظروف الملائمة التي تساعده على المطالعة وتحصيل العلم فقد كان يدرس بها رفقة صفيِّه محمد بن يوسف الحجازي، الذي كتب له كتاب تاريخ الأندلس والمغرب وتواريخ أخرى لبعض المدن. وكان بجانبه أيضا الفتى سابور الفارسي الذي استدعاه من قرطبة ليداوم الحضور الى مجلسه، واختاره ليكون له وصيفا، لأنَّه كان من أعلم أهل عصره.[4]

ت- مؤلفاته:

إنَّ مطالعة الحكم المستنصر واهتمامه الشَّديد بالعلم ومجالسته للعديد من العلماء المختصين في مختلف العلوم أكسبه ملَكة الكتابة والتَّأليف، فقد ألَّف كتابا في أنساب الطَّالبيين والعلويين الذين قدموا إلى المغرب واستعان في تأليفه بما كان يتلقَّفه من أفواه العلويين الذين يفدون عليه سواء في ولاية عهده أو عندما كان يشغل منصب الخلافة،[5] وكتب كتبا في أنساب بلده وقيَّدها إلا أنَّها لم تصل إلينا. وكان شديد الحرص على تدوين أنساب أهل الأندلس وعيا منه بقيمتها وأهميتها، ولم يقف عند ذلك فحسب بل كلَّف أهل كور الأندلس، أن يلحقوا كل عربي أخمل (أهمل) ذكره قبل ولايته، وأن يصحَّح نسبهم من طرف أهل المعرفة بذلك، وتؤلَّف دفاتر لذلك، ويُردُّ كل ذي نسب إلى نسبه،

---

[1] **بقي بن مخلد:** يكنى أبا عبد الحمان، من أهل قرطبة، كان ورعا، فاضلا، زاهدا، وقيل أنه كان مستجاب الدعوة، سمع من محمد بن عيسى الأعشى، ورحل إلى المشرق وسمع من كبار أئمة المحدثين والمسندين منهم أبو مصعب الزهري، وسمع بإفريقية من سحنون بن سعيد، أدخل مصنفات عديدة وكتب إلى الأندلس تفرد بها عن غيره، وله كتاب تفسير القرآن، توفي سنة 276هـ. أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص 107-109 حسين مؤنس: **شيوخ العصر في الأندلس**، دار الرشد، ط3، مصر، القاهرة، 1417هـ، 1997م، ص 51.

[2] **محمد بن وضاح:** يكنى أبا عبد الله، وهو من أهل شذونة، كان رجلا صالحا، زاهدا، وكان يكتب المصاحف، توفي سنة362. أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 75، حسين مؤنس: **شيوخ العصر في الأندلس**، ص49.

[3] ابن الأبار: **التكملة لكتاب الصلة**، ج1، ص 226

[4] محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 506.

[5] سعد عبد الله صالح البشري: المرجع السابق، ص 75.

وفرَّج ذلك بالعلم فتمَّ له ذلك بفضل الله. ونفع به البلاد والعباد وقد أشاد ابن الحيان مؤرخ الأندلس بصفاته العلمية وحرصه على الإعتناء بالأنساب قائلا:

" ....باحثا عن الأنساب، حريصا على تأليف قبائل العرب وإلحاق من درس نسبه أو جهله بقبيلته التي هو منها..."[1] وقد كتب أيضا في علم الحديث وحقَّق بعضها حيث أجاز له ثابت بن قاسم[2] كتاب الدَّلائل في غريب الحديث الذي ألَّفه أباه الناصر.[3]

بالإضافة لذلك كانت له كتابات وتعليقات على الكتب التي يطالعها، ومن بينها ما نقله لنا صاعد الأندلسي حين قال:

" ووجدت بخط أمير الأندلس الحكم المستنصر بالله ابن عبد الرَّحمان النَّاصر لدين الله .....ابن مروان العوس الأموي: أنَّ أبا محمد الهمذاني توفِّي بسجن صنعاء في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة (946م). "[4]

وقد كان الحكَم موثوقا به ومأمونا عليه من طرف العامَّة والمشائخ خاصَّة، حتَّى صار كل ما يكتبه حجَّة ومرجعا عند شيوخ الأندلس وأئمَّتهم، فكانوا ينقلون العلم من كتبه ويحاضرون به.[5]

ث- مواقفه الفقهية:

يعتبر المذهب الأوزاعي أوَّل مذهب دخل إلى الأندلس وقد ساهم حكامها في نشره والعمل به. إلى أن اعتلى الأمير هشام ابن عبد الرحمان بن معاوية[6] الذي تبنَّى مذهبا جديدا وهو المذهب

---

[1] ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج1، ص 201-203.

[2] **ثابت بن قاسم**: هو ثابت بن القاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمان العوفي، من أهل سرقسطة، سمع من أبيه، ومن جده، وكان مليح الحط جيد الكتاب، حدث بكتاب أبيه المسمى بالدلائل، وكان مولعا بالشراب، توفي سنة 352هـ كما ورد بخط المستنصر بالله أمير المؤمنين رحمه الله. أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج1، ص120.

[3] ابن الأبار: **التكملة بكتاب الصلة**، ج1، ص 226.

[4] صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم**، مر: لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1912م، ص59.

[5] ابن الأبار: **الحلة السيراء**، ج1، ص 202.

[6] **هشام ابن عبد الرحمان بن معاوية**: يكنى أبا الوليد، أكثر الرواية عن يحي بن يحي وغيره من العلماء وكان من أهل الفضل والعلم والبصر باللغة والعربية والنفاذ في معرفة الحديث وروايته والحفظ للأخبار ولا سيما أخبار الخلفاء من قومه بالمشرق والغرب، توفي 180هـ، أنظر ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج4، ص143. المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، 334-338. ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 61.

المالكي سنة مائة واثنان وسبعين من الهجرة في حياة مالك، وقد حمل النَّاس عليه، وأرسل للفقهاء والقضاة يخبرهم بوجوب العمل والفتيا به،[1] فقد كان الخليفة الحكم يشيد بفضل هذا المذهب على بلاد الأندلس وحرص على اتِّباع نهج أجداده في ذلك. ومن هذا المنطلق بعث كتابا للفقيه أبي إبراهيم[2] يوضِّح له فيه ضرورة اتباع المذهب المالكي والاقتداء بالأوَّلين قائلا:

" وكلُّ من زاغ عن مذهب مالك، فإنَّه ممن ران على قلبه، وزيَّن له سوء عمله. وقد نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء وقرأنا ما صنِّف من أخبارهم إلى يومنا هذا، فلم نر مذهبا من المذاهب غيره أسلم منه، فإن في الجهمية والرَّافضة، والخوارج، والمرجئة، والشِّيعة، إلاَّ مذهب مالك، فإنَّا ما سمعنا أحدا ممن تقلَّد مذهبه قال بشيء من البدع، فالإستمساك به نجاة إن شاء الله تعالى..."[3]

ومن بين أرائه الفقهية أيضا أنه قد رام قطع الخمر من الأندلس وأمر بإراقتها وشدَّد على ذلك فشاور العلماء فقالوا له إنَّها تعصر من فواكه أخرى بدل العنب فكفَّ عن ذلك،[4] وفي أمره بإراقة الخمور في سائر الجهات يقول أبو عمر يوسف بن هارون الكندي قصيدته المشهورة التي كتبها عند سماعه قرار الخليفة ومتوجِّعا لشاربها قوله:

بِخَطْبِ الشَّارِبِيْنَ يَضِيْقُ صَدْرِيْ وَتَرْمُضُنِيْ بَلِيَّتِهِمْ لَعَمْرِيْ
وَهَلْ هُمْ غَيْرَ عُشَّاقٍ أُصِيْبُواْ بِفَقْدِ حَبَائِبَ وَمُنَواْ بِهَجْرِ[5]

---

[1] نجم الدين الهنتاني: **المذهب المالكي في الغرب الاسلامي**، منشورات تبر الزمان، (د، ط)، تونس، تونس، 2004م، ص 127.

[2] **أبي ابراهيم**: وهو اسحاق ابن ابراهيم بن مرسة، وهو مولى بني هلال التجيبي من أهل طليطلة، سكن قرطبة لطلب العلم، فكان خيرا فاضلا دينا ورعا مجتهدا عاقدا، وكان من أهل العلم والفهم والعقل والزهد والتقشف، لاتأخذه في الله لومة لائم. أنظر القاضي عياض، المصدر السابق، ج6، 126-127.

[3] الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إش: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، (د، ط)، المغرب، الرباط، 1401هـ، 1981م، ج11، ص 379.

[4] ابن حزم، ابن سعيد، الشقندي: **فضائل الأندلس وأهلها**، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط1، (د، م، ط) 1968، ص 53.

[5] الضبي: المصدر السابق، ج1، ص 40.

ج- أدبه: (شعره)

وقد كان الحكم أديبا وذوّاقا للشِّعر منظما له ويعتبر هذا الأخير من بين الوسائل التي يعبِّر بها عن مشاعر وأحاسيسه، فقد كتب أبياتا من الشِّعر يعبِّر فيها عن مدى شوقه وتعلُّقه بزوجته صبح البشكنسية[1] لما خرج لغزوته المعروفة بشنت اشتبين[2] قائلا:

عَجِبْتُ وَقَدْ وَدَّعْتُهَاْ كَيْفَ لَمْ أَمُتْ وَكَيْفَ إِنْثَنَتْ عِنْدَ الفِرَاْقِ يَدِيْ مَعِيْ

فَيَاْ مُقْلَتِيْ العَبْرَىْ عَلَيْهَاْ أُسْكُبِيْ دَمًا وَيَاْ كَبِدِيْ الحَرَى عَلَيْهَا تَقَطَّعِيْ

وقوله أيضا:

إِلَىْ اللهِ أَشْكُوْ مِنْ شَمَاْئِلِ مترَفٍ عَليَّ ظَلُوْمٍ لَاْ يَدِيْنُ بِمَاْ دَنَتُ

نَأَتْ عَنْهُ دَاْرِيْ فَاسْتَزَاْدَ صُدُوْدُهُ وَإِنِّيْ عَلَىْ وَجْدِيْ القَدِيْمِ كَمَا كُنْتُ

وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِيْ أَنَّ شَوْقِيْ بَاْلِغٌ مِنَ الوَجْدِ مَاْ بَلَغْتُهُ لَمْ أَكُنْ تُبْتُ[3]

وينسب له أيضا:

مَا كُلُّ شَيْءٍ فَقِدَ إِلَّاْ عَوَّضَنِيْ اللهُ عَنْهُ شَيَّا

إِنِّيْ إِذَاْ مَاْ مَنَعْتُ خَيْرِيْ تَبَاْعَدَ الخَيْرُ مِنْ يَدَيَّا

مَنْ كَاْنَ لِيْ نِعْمَةً عَلَيْهِ فَإِنَّهَاْ نِعْمَةٌ عَلَيَّا[4]

أمَّا في جانب النَّثر وكتابة الفنِّ الأدبي فلم يكن مكثرا منه، وليس لضعف منه وإنَّما لانشغاله بأمور الحكم وشؤونه. كما جرت العادة في الأندلس أن الحكَّام يعينون كتَّابا لهم يتولَّون كتابة الرَّسائل والخطابات، ومع بعض الرَّسائل التي كان يكتبها الحكم المستنصر في ولاية عهده كالرِّسالة التي بعث بها إلى الفقيه أبي ابراهيم اسحاق المالكي يطلب منه تقديم الأسباب التي جعلته يتأخَّر عن الحفل

---

[1] **شنت أشتبين**: أحد أهم الحصون التي أقامته مملكة ليون على الجهة اليمنى من نهر دويرة. أنظر خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: المرجع السابق، ص 165.

[2] **صبح البشكنسية**: وهي حظية الحكم المستنصر بالله وأم ولده هشام الخليفة الصبي، وكانت قد منحت الوصاية على ولدها، واكتسبت بذلك صفة شرعية في الاشتراك في الحكم ،كانت تولي وتعزل الوزراء والقادة، وتدير شؤون الحرب والسلام. أنظر محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 520. محمد عبد الله عنان: **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**، مكتبة الخانجي، ط2، مصر، القاهرة، 1390هـ، 1970م، ص 199.

[3] الصفدي: المصدر السابق، ج13، ص 76.

[4] ابن سعيد: المصدر السابق، ج1، ص 184.

الذي أقامه أبوه الناصر في القصر وجاء فيها: " بسم الله الرَّحمان الرَّحيم، حفظك الله وتولَّاك، وسدَّدك ورعاك، لما امتحن أمير المؤمنين مولاي وسيدي أبقاه الله الأولياء الذي يستعدُّ بهم وجدك متقدِّما في الولاية، متأخِّرا عن الصِّلة، على أنَّه قد أنذرك- أبقاه الله- خصوصا للمشاركة في السُّرور الذي كان عنده، لا أعدمه الله توالي المسرَّة، ثم أنذرت من قبل إبلاغا في التَّكرمة، فكان منك على ذلك كلِّه التَّخلف ما ضاقت عليه فيه المعذرة، واستبلغ أمير المؤمنين في إنكاره ومعاتبتك عليهن فأَغْيَت عليك عنك الحجة، فعرِّفني- أكرمك الله- ما العذر الذي أوجب توقُّفك عن إجابة دعوته، ومشاهدة السُّرور الذي سرَّ به وغب المشاركة فيه، لنعرّفه –أبقاه الله- بذلك، فتسكن نفسه العزيزة عليه إن شاء الله تعالى."[1]

المبحث الثاني: تشجيعه للحركة العلمية في الأندلس:

من بين المعايير التي تصنف بها تطوُّر الدول والحضارات هو مدى تقدَّمها في المجال العلمي والحياة الفكرية، هذه الأخيرة التي عرفت نشاطا وانتعاشا في عهد الحكم. فما هي أبرز مظاهر تطورها في هذه الفترة وما هي جهود الحكم في ذلك ؟

استقدامه للعلماء من مختلف الأمصار:

من بين جهود الخليفة المستنصر بالله وحرصه على نشر العلم والمعرفة في كافَّة أرجاء الأندلس، قيامه باستقطاب العلماء من داخل الأندلس وخارجها، ومن مختلف الأديان والأعراق، ولكي يجنِّب أهلها من طلَّاب العلم عناء السَّفر.

وقد استقدم من أهل الأندلس العالم محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي[2] وهو من أهل إشبيلية، قدم قرطبة في زمن النَّاصر، وكان من خيرة علماء النَّحو وحفظ اللُّغة في عصره، فأكسبه ذلك جاها عظيما، ممَّا جعل الحكم يعيِّنه مؤدِّبا لإبنه وولي عهده هشام، ثم قدَّمه للقضاء والشُّرطة.

---

[1] المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 376.

[2] **محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي:** يكنى أبا بكر من أهل إشبيلية، سكن قرطبة فنال بها جاها عظيما ورياسة، سمع من القاسم بن اصبغ وغيرهم، واحد عصره في علم والنحو، وحفظه اللغة، توفي سنة 379هـ. أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 92. القاضي عياض: المصدر السابق، ج7، ص 37. المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شر: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، لبنان، بيروت، 1426، 2006، ص 72. الزركلي: المصدر السابق، ج6، ص 28.

ومن بينهم أيضا محمَّد بن يحي بن عبد السلام الأزدي النَّحوي المعروف "بالرَّبَّاجي"[1] من أهل قرطبة، وكان فقيها موثوقا به، أخذ عن كتاب سيبويه، ثم اختصَّ به الحكم المستنصر فتكفَّل بخدمته في مقابلة الكتب.[2] بالإضافة الى العالم علي بن معاذ بن سمعان الرعيني البجاني الذي كان لغويًّا ونسَّابة، وقد أقام بقرطبة في حومة مسجد سلمة حيث كان يلقي دروسه هناك، وبعد سنوات عاد إلى مسكنه في بجانة.[3] ومنهم محمد بن فرح بن سبعون النَّحلي المعروف: بابن أبي سهل، وهو من أهل بجانة. استقدمه الحكم المستنصر إلى قرطبة في شهر ربيع الآخر سنة 361هـ/971م، وقد إنتفع النَّاس بعلمه،[4] ومنهم أيضا محمد بن مروان بن زريق البطليوسي الذي أورده الخليفة المستنصر بالله وكتب عنه في مذكراته، وغيرهم الكثير.

أمَّا بالنِّسبة للعلماء المشارقة الذِّين استقدمهم الحكم إلى الأندلس فنجد العالم اسماعيل بن عبد الرَّحمان القرشي الذي قدم من مصر إلى الأندلس، بالإضافة إلى العالم المقَّري بن عبد الملك بن إدريس البجائي الذي رحل ثم عاد إلى إليها ومعه كتاب الوقف والابتداء عن نافع برواية ورش، ولما وصل الخبر إلى الحكم بقدومه استقدمه فورا للقصر فأكرمه وأحسن إليه واستفاد من علمه.[5]

أ- تشجيعه لحركة التأليف والترجمة:

تعتبر الكتب والمؤلفات من مظاهر الرُّقي الحضاري والفكري في المجتمعات ومن هذا المنطلق سعى الخليفة الحكم إلى تحسين وتشجيع الإنتاج الفكري بالأندلس وذلك من خلال تأليف وجلب الكتب الثَّمينة والنَّادرة منها، واغداق الأموال والعطايا على مؤلِّفيها.

---

[1] **محمَّد بن يحي بن عبد السلام الأزدي النَّحوي**: المعروف بالرَّبَّاجي، وهو من أهل قرطبة، وأصله من جيان، كان يزعم أنه من ولد يزيد بن المهلب، سمع من قاسم بن أصبغ وغيره، رحل إلى المشرق وسمع بمكة كابن الأعرابي، وبمصر من علاء بن حسن وغيره، كان علمه الغالب عليه العربية، وكان فقيها إماما، موثوقا، وكان رجلا متدينا، توفي سنة 358هـ. أنظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص72.

[2] فاطمة الزهراء مسوسة: **الحياة العلمية في عهد الحكم المستنصر بالله**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إش راكة عمر، جامعة بن خلدون، الجزائر، تيارت، 1434-هـ1435، 2013، 2014م، ص 34-35.

[3] ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: احسان عباس، بشار بن عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، تونس، 2012، ج3، ص 345.

[4] ابن الفرضي: المصدر السابق، ج2، ص 81.

[5] فاطمة الزهراء مسوسة، المرجع السابق، ص35-36.

وأبرز مثال على ذلك حينما أرسل رسولا للمشرق ليجلب له النُّسخة الأولى لكتاب الأغاني لصاحبه أبوا الفرج الأصبهاني[1] بألف دينار من الذَّهب العين، فلمَّا علم الأصبهاني بذلك أرسل له نسخة حسنة ومنقَّحة، وقد أضاف فيها قصيدة تمدح الخليفة. وكان الحكم بذلك أوَّل شخص يطَّلع على الكتاب، قبل أهل المشرق قاطبة،[2] وأضاف الأصبهاني كتابا آخر للحكم يهتمُّ فيه بأنساب بني أميَّة ويمدحهم فيه، فأرسل له الحكم مبلغا آخر مقابله.[3]

وأعاد الحكم نفس الكرَّة مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي لما بعث له مبلغا معتبرا مقابل النُّسخة الأولى من كتابه شرح مختصر ابن عبد الحكم،[4] ومع محمَّد بن القاسم بن شعبان بمصر ومحمَّد بن يوسف الورَّاق الذي ألَّف كتابا كبيرا حمل عنوان "مسالك افريقيا وممالكها" وألَّف أيضا في أخبارها وملوكها وحروبهم والقائمين عليها كتبا كثيرة، وألَّف في أخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة والبصرة وغيرها من المؤلفات.[5] وقد حفَّز الحكم أهل الأندلس وعلمائها على التَّأليف مقابل امتيازات تمنح لهم كإعفائهم من الغزو مثل ما فعل مع أبي محمد عبد الله بن محمَّد بن مغيث[6] لما دعاه الحكم المستنصر للخروج معه في غزوة الروم سنة 352هـ/962م فاعتذر عبد الله عن ذلك لعجز أصابه فقال له الحكم: " إن ضمن لي أن يؤلِّف في أشعار خلفائنا بالمشرق والأندلس مثل كتاب الصُّولي في أشعار بني العباس أعفيته من الغزاة، وجازيته أفضل المجازاة، فأجابه إليه على أن يؤلفه بالقصر، فزعم

---

[1] **أبو الفرج الأصبهاني**: وهو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمان ابن مروان بن عبدالله أمير المؤمنين بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ولد سنة 284هـ وتوفي سنة 365هـ. أنظر الصفدي: المصدر السابق، ج21، ص 15.

[2] رينهارت الدوزي: المرجع السابق، ج2، ص 67.

[3] محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 505.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 188.

[5] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 38.

[6] **أبا محمد عبد الله بن محمَّد بن مغيث**: هو عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصاري، من أشراف قرطبة، يكنى أبا محمد. وهو والد قاضي الجماعة أبي الوليد بن الصفار، كان من أهل المعرفة والنباهة، والذكاء واليقظة، والحذق والفهم، ومن أهل الأدب البارع، والشعر الرائق، والكتابة البليغة مع الدين والفضل والنسك والعبادة والتواضع. وزهد في الدنيا في آخر عمره وجمع وله كتب من تأليفه. توفي سنة 352. أنظر ابن بشكوال: **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، (د، م، ط)، 1374هـ، 1955م، ج1، ص237. الصفدي: المصدر السابق، ج17، ص 262. الزركلي: المصدر السابق، ج4، ص 120.

أنه رجل مزور، وأن ذلك الموضع ممتنع على من يَلُمُّ به ويزور، فألفه بدار الملك المطلة على النَّهر، وأكمله فيما دون شهر".[1]

وشجَّع الحكم علماء الأندلس على التَّأليف أيضا من خلال تقديم الجوائز كبيرة لهم، وتسليمهم مناصب في الدَّولة وأبرز مثال عن ذلك أحمد بن عبد الملك الإشبيلي[2] الذي كان شديد الحفظ لأقوال مالك وأصحابه، فألَّف كتابا للخليفة الحكم رفقة أبي بكر محمد بن عبد الله القرشي، وسمَّاه بكتاب "الاستيعاب"، ثم سلَّماه للخليفة فوصلهما بجائزة كبيرة، ثم قدمهما للشورى.[3] وطلب أيضا من خالد بن سعد تأليف كتاب يتحدَّث فيه عن رجال الأندلس. ولم تتوان ثلَّة من العلماء في إهداء الحكم مؤلفاتها تيمُّنا بعنايته للكتب ومبلغه من العلم، فقد ألَّف له أحمد بن عبد الملك الإشبيلي كتاب "الحدائق" معارضا كتاب "الزهرة" لأبي بكر الأصبهاني. وألَّف له يوسف بن هارون الرمادي[4] كتابا باسم " الطَّير" وهو كتاب كلُّه شعر في وصف كل طير معروف، ويذكر خواصه وذيَّل كلَّ قطعة فيه بمدح وليُّ العهد هشام بن الحكم[5] ومن بينهم أيضا العالم أبو عبد الله الخشني الذي أهداه كتاب قضاة قرطبة، وأهدى له المطرف ابن عيسى الغساني كتابه المعنون "بالمعارف في أخبار كورة إلبيرة".[6] وهناك أيضا العالم الأندلسي ابن قوطيَّة الذي ألَّف كتاب الأفعال في النَّحو، وكتاب تاريخ افتتاح الأندلس، الذي جمع فيه أخبار المسلمين في إسبانيا من بداية الفتح حتَّى وفاة الأمير عبد الله.[7]

---

[1] ابن خاقان الإشبيلي: المصدر السابق، ص289،290.

[2] **أحمد بن عبد الملك الإشبيلي**: هو أبو عمر المعروف بابن المكوي، مولى بني أمية، وسكن قرطبةن شيخ فقهاء الأندلس في وقته، تفقه بأبي إبراهيم وصحبه. وكان عارفا بعلم القراءات، بصيرا بالحساب والفرض والنحو. توفي سنة 426هـ. القاضي عياض: المصدر السابق، ج7، ص 123. قاسم علي سعد: **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**، دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث، ط1، الامارات، دبي، 1423هـ، 2002م، ج2، ص714.

[3] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 39.

[4] **يوسف بن هارون الرمادي**: يكنى أبا عمر، وهو من أهل قرطبة، شاعر الأندلس المشهور، والمقدم على الشعراء. روى عن أبي علي البغدادي كتاب النوادر من تأليفه. توفي سنة 403هـ. أنظر ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص637. ابن الأبار: **التكملة لكتاب الصلة**، ج1، ص 21.

[5] إسماعيل بن ابراهيم بن أمير المؤمنين : **تاريخ الأندلس من الفتح إلى السقوط**، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، القاهرة، 1428هـ، 2007م، ص 51-25.

[6] محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 505.

[7] عبد الحميد نعنعي: المرجع السابق، ص 410.

وقد شجَّع الحكم المستنصر أيضا حركة التَّرجمة بالأندلس حيث كلَّف العديد من العلماء المستعربين[1] في الأندلس بترجمة كتب من اللَّاتينية إلى العربية ومن العربية إلى اللاتينية، وترجم الأسقف خيرونة كتاب "كوطمار" من اللَّاتينية إلى العربية، وهو كتاب يتحدَّث فيه ن أخبار ملوك الفرنجة، وكان أملاه بإشارة من الخليفة الحكم، وقد اشتهر هذا الكتاب في الأندلس وشهد انتشارا واسعا داخل وخارج الأندلس، حتَّى أنَّ المسعودي قد أدرجه وذكره في كتابه مروج الذَّهب،[2] وأمر الحكم المستنصر بترجمة كتاب "هروشيش" وكلَّف كلا من المسلم قاسم بن أصبغ والنصراني المستعرب الوليد بن خيزران.[3] ونجد كلا الأسقف المستعرب ريموند أو كما يسمى بربيع بن زيد والطبيب العربي الأندلسي عريب بن عريب اشتركا في تأليف نص مزدوج اللغة (عربي-لاتيني) ويعرف اليوم باسم تاريخ قرطبة[4]

[1] **المستعربون:** هم فئة من الإسبان الذين عاشروا المسلمين، واختلطوا بهم، وتعلموا العربية دون أن يدخلوا للإسلام، كانو يشكلون غالبية سكان الأندلس في السنوات الأولى من الفتح، ولكن بدأ يتناقص عددهم مع مرور السنين ودخل الكثير منهم للإسلام. أنظر حسين يوسف دويدار: المرجع السابق، ص 36- 37. السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، ص130.

[2] حسن الوراكلي، **ياقوتة الأندلس**، دار الغرب الاسلامي، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1994، ص 50.

[3] هناك إختلاف في شخصية المستعرب النصراني الذي ترجم كتاب هيروشيش، فهناك من يقول أن الحكم أمر كل من المسلم قاسم بن أصبغ و حفص بن ألبر بترجمة كتاب التاريخ لهيروشيش من اللاتينية إلى العربية، وكتاب الطب لديسقوريدس في الطب من اليونانية الى العربية، أنظر حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، ط2، مصر، القاهرة، 1418، 1997م ص 384.

[4] نفسه، ص 28-30.

المبحث الثالث: المراكز التعليمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر بالله:

تعتبر الأندلس الإسلامية كعبة العلم وقبلته، حيث كانت تستقطب طلبة العلم من شتى أنحاء المعمورة، ومن العالم الإسلامي والمسيحي في آن واحد. ولما كانت قرطبة عاصمتها وأشهر حواضرها العلمية ضمَّت العديد من الهياكل التعليمية ومن أبرزها:

أ- المساجد:

كانت الجوامع والمساجد منذ القديم مكانا تقام فيها الصَّلوات والعبادات الدينية، لكن هذا الأمر لم يكن شائعا في الأندلس، فلم تقتصر المساجد على ذلك فقط، بل كانت بمثابة الصَّرح العلمي الذي يزوِّد الطَّلبة بمختلف أنواع العلوم الدِّينية والدُّنيوية.[1] وقد توافد عليها الكثير من العلماء يلقون دروسهم ومحاضرتهم فيها، الأمر الذي أدَّى إلا استقطاب الطَّلبة من مختلف كور الأندلس وبقاع العالم الإسلامي أجمع.[2] ومن أبرز المدن الأندلسية التي ضمَّت مساجدها حلقات العلم والدَّرس نجد مدينة طليطلة، إشبيلية، شاطبة،[3] مرسية،[4] وغرناطة.[5] وقد أنتجت هذه المساجد علماء في مختلف المجالات ذاع صيتهم في بقاع العالم الإسلامي.[6]

---

[1] سعد عبد الله صالح البشري: المرجع السابق، ص 138.

[2] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 155-156.

[3] **شاطبة:** هي مدينة تقع شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة، قد خرج منها خلق من الفضلاء، يعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له بمعمور الأرض. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص 309. الأدريسي: المصدر السابق، ج2، ص 556.

[4] **مرسية:** وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية، وسمها تدمير بتدمر الشام فاستمر الناس على اسم موضعها الأول، وهي ذات اشجار وحدائق محدقة بها. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 107. المراكشي: **المعجب في تلخيص اخبار المغرب**، ص 97.

[5] **غرناطة:** هي مدينة أندلسية بقرب ألبيرة ومن أحسن مدن الأندلس وأحصنها يشقها نهر قلوم وتعتبر من أشهر مدن الأندلس. أنظر ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص195. القزويني: المصدر السابق، ص 547. المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، ص 147.

[6] سعد عبد الله صالح البشري: المرجع السابق، ص 141.

ب- مسجد قرطبة الجامع الجامعة:

كان لهذا الجامع دور كبير في انعاش الحركة الفكرية بقرطبة وازدهارها. وارتبط اسم عاصمة الخلافة وقتئذ بالعلم حتَّى أصبح سمتها البارزة وصارت مضرب المثل فيه.[1] ويبرز لنا قول ابن رشد مدى المكانة العلمية التي بلغتها هذه المدينة، حيث يفضِّل سكَّانها على أهل اشبيلية في قوله: " ما أدري ما تقوله، غير أنَّه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه، حملت إلى قرطبة حتَّى تباع فيها وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته، حملت إلى إشبيلية."[2] فلم يبق عالم مشهور بالأندلس إلَّا قصدها للاستزادة أو التَّدريس بها. وما من طالب علم في الأندلس أو خارجها إلاَّ كانت وجهته الأولى. ولا غرابة في ذلك لأنَّها وفَّرت لهم سبل العلم والتَّعلم من أمن واستقرار ومواد لازمة.[3]

ولهذا السَّبب ركَّز الحكم المستنصر كل جهوده على هذا الجامع حتَّى أصبح أوَّل جامعة قروسطية (فترة القرون الوسطى) في أوروبا، ومنارة للإشعاع الفكري في الأندلس، ومركزا مشهورا للدِّراسات العالية.[4] ولقد تأسَّست هذه الجامعة قبل جامعة الأزهر بالقاهرة والمدرسة النظامية في بغداد[5]

وكان الطُّلاب بهذا الجامع يتلقَّون مختلف العلوم، كعلوم الدِّين من فقه، وتفسير، وعلوم الحديث، والأدب كالشِّعر العربي والأمثال الجاهلية، والجغرافيا والتَّاريخ والطِّب والفلك والرِّياضيات وغيرها.[6]

وقد درَّس في هذه الجامعة ثلَّة من العلماء أمثال أبي علي القالي الذي درَّس مجموعة كبيرة طريفة في الغريب من أخبار العرب القدماء وأمثالهم وأشعارهم، وكان يسمَّى كتابه الأمالي. ودرَّس أبو بكر بن معاوية القرشي علم الحديث، أمَّا العالم ابن القوطية فقد درَّس النَّحو[7]

---

[1] وفاء عبد الله المزروع، المرجع السابق، ص 165.

[2] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 463.

[3] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 156-157.

[4] سلمى الخضراء الجيوسي: المرجع السابق، ج1، ص 195.

[5] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 158.

[6] سعد عبد الله صالح البشري، المرجع السابق، ص 138.

[7] رينهارت الدوزي: المرجع السابق، ج2، ص 67-68.

وقد عهد بالإشراف على هذا الصَّرح العلمي وأساتذته لأخيه المنذر،[1] لكن رغم ذلك فإنَّه عمل على توفير كلَّ ما يحتاجه هذا الصَّرح من متطلَّبات لضمان تعليم أفضل.[2]

ت- قصر الخلافة:

لقد كان بلاط القصر يضمُّ بعض الدُّروس لأنَّه كان يضم مجموعة من العلماء المتمرسين في مختلف المجالات، فقد حرص خلفاء بنوا أميَّة على تعليم أبنائهم داخل القصور، فقد ضمَّت هذه الأخيرة أماكن مخصَّصة للتَّعليم تسمَّى دار الأولاد أو دار الملك، وحرصوا على تزويدها بمستلزمات الرَّاحة من طعام وسكن لتوفير الجوِّ الملائم، وخاصة بالنِّسبة للأساتذة الذين يسكنون خارج مدينة قرطبة،[3] لذا حرص الحكم المستنصر بالله على سماع ابنه وولَّي عهده هشام العلم من يحي بن عبد الله بن يحي الليثي،[4] بالإضافة إلى الفقيه المالكي أحمد بن يوسف الذي كان يقرأ على هشام أجزاء من كتاب الموطَّأ للإمام مالك. وكان يلتقي معه يومين في الأسبوع لإتمام سماعه وجميع رواياته من العلوم الأخرى. فالقصر يعدُّ من بين المراكز التعليمية الخاصَّة بتعليم أبناء الخلفاء لتأهيلهم لتقلُّد مناصب في الدولة.[5]

ث- جامع الزهراء:

لقد كان إحدى مراكز الإشعاع الفكري والثَّقافي في الأندلس فكانت تعقد فيه دروس ومجالس علمية للغوي أبي علي القالي كلَّ يوم خميس. وكان يعجُّ الجامع بالطلَّاب في أعداد هائلة حيث بلغ عدد يحضر لمجلسه حوالي أربعمائة طالب علم عند املائه لكتاب الأمالي، كانت الجوامع والمساجد حينها تؤدي رسالة العلم والتَّعليم للأجيال النَّاشئة، ولم تقتصر دور العلم عليها فقط بل نجد هناك مراكز أخرى.[6]

---

[1] محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 506.

[2] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 157.

[3] عبد القادر بن علي: المرجع السابق، ص 40.

[4] سالم عبد الله خلف: المرجع السابق، ج1، ص 299.

[5] عبد القادر بن علي: المرجع السابق، ص 40.

[6] سعد عبد الله صالح البشري: المرجع السابق، ص 140.

ح- مكتبة القصر:

لقد كان الخليفة الحكم المستنصر محبا وشغوفا بجمع الكتب، فقد كان له دور كبير في إنشاء وإثراء المكتبة الأمويَّة الكبرى في القصر، ولم تكن هذه السُّنة وليدة عصره ، بل كان أجداده من قبله يفعلون ذلك، فقد بدأت هذه النَّزعة عند الأمويين في الأندلس منذ عصر عبد الرَّحمان الداخل، وامتدَّت إلى فترة الأمير محمد بن عبد الرَّحمان حيث كانت المكتبة الأموية في قصر قرطبة، وكان أبوه النَّاصر قد ملأها بنفائس الكتب، ولما توفِّي تكلَّف الحكم بضمِّ مكتبة أبيه لمكتبته الخاصَّة،[1] كما كان أخوه محمد يملك مكتبة خاصة به في القصر فلما مات هو الآخر وُرِثت كل كتبه وضمهم إلى مكتبة القصر الخاصة به. فبذلك شكَّل مكتبة القصر التي جمع فيها مكتبته ومكتبة أخيه محمد ومكتبة أبيه النَّاصر، وأصبحت مكتبة القصر أكبر مكتبة في الأندلس كلِّها، الذي أفنى بقية عمره في تنظيمها وتنسيقها.[2]

وكان يحرص أن تضمَّ هذه المكتبة أندر الكتب في عهده فكان يقوم بإرسال وكلائه ورسله إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي وخاصة بلاد المشرق كالقاهرة وبغداد ودمشق والإسكندرية للبحث عن الكتب القديمة واقتناء الحديثة منها، فينسخونها أو يشترونها له دون الالتفات إلى ارتفاع أثمانها ويدخلونها للأندلس،[3] فتمكَّن الحكم من جمع كتب لم يسبق لها أن دخلت البلاد قبله، وجلب عددا كبيرا منها لم يتوَّفر لغيره من الخلفاء،[4] إلا ما يذكر عن النَّاصر العبَّاسي ابن المستضيء.[5]

---

[1] محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 504-505.

[2] وائل أبو صالح: جهود الحكم المستنصر في تطور الحركة العلمية في الأندلس، **دراسات أندلسية**، ع06، تونس، تونس، 1411هـ، 1991، ص 31-32.

[3] رينهارت الدوزي: المرجع السابق، ج23، ص 66.

[4] حامد الشافعي دياب: **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، القاهرة، 1998م، ص 80.

[5] ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 188.

وكانت تضمُّ المكتبة الأموية حوالي أربعمائة ألف كتاب تقع فهارسها في أربعة وأربعين مجلدا في كل منها خمسون ورقة.[1] هذا ما ذكره تليد الفتى الذي كان قائما على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالأندلس قائلا: " ...أنَّ عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، في كلِّ فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط. "[2] وبهذا الكم الهائل غصَّت جنبات المكتبة وفاضت عن بناياتها، مما أدى إلى نقلها إلى بنايات أخرى أكثر من خمس مرات، وقد استغرق نقل دواوين الشِّعر وحدها خمسة أيام. وقد رُتِبَت مكتبة القصر وفق أحدث الطُّرق العلمية المستخدمة في عصرنا هذا، أما رفوفها فهي مقسَّمة إلى فهارس وكل فهرس إلى أوراق مكتوب عليها أرقام معينة، أما بالنِّسبة للأقسام والقاعات فخُصِّص جزء منها للكتب، وجزء آخر خاص بالأدراج والفهارس، وجزء للنَّساخين والمجلدين، وجزء للمراجعين والمحققين للكتب التي تأتي لها من كلِّ مكان.[3] حيث ضمت المكتب أمهر النَّساخين والمحقِّقين والمجلِّدين للكتب من أجل الاعتناء بها كما ينبغي[4]

ولم تكن هذه المكتبة مفتوحة للعوام فقد كانت مقتصرة على الأسرة الملكية فقط،[5] ولكن كانت هناك بعض الاستثناءات حيث حظي بعض العلماء الكبار بالاستفاضة منها أمثال الفقيهين أبا بكر المعيطي القرشي وأبا عمر ابن المكوي، لما أراد الحكم اتمام كتاب الاستيعاب الذي أثار إعجابه فأباح لهم البحث في مكتبته عن أقوال مالك والرِّوايات المختلفة فيها.[6]

ولقد كان مصيرها في الأخير مؤلما جدا، حيث تمَّ حرقها وتخريبها وسلب ما فيها من كتب. وقد قام المنصور بن أبي عامر بإحراق كتب الفلسفة لإرضاء العامَّة والفقهاء الذين كانوا يعدُّونها علما منبوذا ومحرما، ولما تعرضت قرطبة لحصار البربر سنة 400هـ/1002م قام الحاجب واضح مولى

[1] سلمى الخضراء الجيوسي: المرجع السابق، ج1، ص 192. لقد تم الاختلاف عند بعض المؤرخين المحدثين حول عدد الكتب في هذه المكتبة فهناك من قال أنها ضمت نصف مليون من الكتب، وقال آخرون انها ضمت ستمائة ألف مجلد. أنظر وائل أبو صالح: المرجع السابق، ع6، ص 32.

[2] ابن حزم الأندلسي: المصدر السابق، ص 92.

[3] وفاء عبد الله الزروع: المرجع السابق، ص 153-154.

[4] محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 505.

[5] سلمى الخضراء الجيوسي: المرجع السابق، ج1، ص 193

[6] القاضي عياض: المصدر السابق، ج7، ص 121.

المنصور بن أبي عامر ببيع كتبها بعد أن احتاج للمال، ثم نُهِب وحُرِق الباقي منها عند اقتحام البربر لقرطبة.[1]

ولم تكن هذه الهواية جمع الكتب واقتنائها وقفا على الأمراء والخلفاء فحسب، وانَّما شملت حتَّى طبقات الأندلسي كلِّه آنداك، فأصبح النَّاس يتنافسون حول جمع الكتب ويتباهون بامتلاك النَّادر منها وإنشاء مكتبات في بيوتهم حتى وإن كانوا من العامَّة ولم تكن حكرا على العلماء فقط، فكانت هذه العادة من علامات الرِّفعة والسؤدد في المجتمع الأندلسي،[2] حتَّى أنَّ بعضهم كان لا يعرف قيمة الكتاب ومادَّته ولكنه يحرص على شرائه ليزين به مكتبته ويسدَّ به نقصا فيها،[3] ويصور لنا المقري هذا الشَّغف بجمع الكتب من طرف الأندلسيون فيقول: " ..حتى أن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون عنده في بيه خزانة كتب، وينتخب فيها ليس إلا لأن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس له عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به. "[4] وقد كان توجد سبعين مكتبة في البلاد الأندلسية عدا مكتبة القصر.[5] فكثر في عهد الحكم تحرك الناس إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم.[6]

ولم تكن هذه العادة حكرا على الرِّجال فقط بل شاركتهم النِّساء فيها أيضا، حي نجد عائشة بنت أحمد بن قادم التي اشتهرت بعنايتها للكتب، وكانت من أبرز نساء عصرها علما وأدبا وشعرا، فكانت خزانتها من أغنى وأهمِّ المكتبات الخاصة في البلاد.

ولقد تأثَّر أهل الذمة من يهود ونصارى أيضا بهذه العادة الحميدة، خاصة وأنهم كانوا يتقنون اللُّغة العربية ويتذوقون أدبها ويحصلون علومها، إذ نجد الطبيب اليهودي حسداي من أشهر هؤلاء، الذي اشتغل كطبيب خاص للخليفة الحكم، وقد ألَّف العديد من اليهود كتبهم باللُّغة العربية وتمكنوا

[1] اسماعيل بن إبراهيم بن أمير المؤمنين: المصدر السابق، ص 54-55.

[2] حامد الشافعي دياب: المرجع السابق، ص 95.

[3] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 154.

[4] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص

[5] محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص1، قس1، ص 509

[6] عبد الكريم فايزي: المكتبات في الأندلس ودورها في الحياة العلمية، **مجلة الباحث**،ع4، جامعة الشهيد حمة لخضر، الجزائر، الوادي، 1436هـ، 2014، ص 31.

هم أيضا من تأسيس مكتبات خاصة بهم كمكتبة يوسف بن اسماعيل بن نغرالة اليهودي[1] والتي بلغت شهرة في الأندلس.[2]

وكنتيجة لهذه الحركية النَّشطة للكتب في الاندلس أقام الحكم المستنصر سوقا لها، تجلب إليها البضائع من كل قطر، فنفع الله به البلاد والعباد.[3]

ج- مراكز أخرى:

رغم اقتصار التَّعليم على المساجد والجوامع في قرطبة إلَّا أنَّ هناك بعض الحلقات والدُّروس التي كانت تعقد خارجها، حيث وجد هناك بعض العلماء ذوي الثَّراء والمال الوفير ساهموا بدورهم في تلقين الدُّروس للعامة في مجالس خاصَّة.

ويعد العالم أحمد بن سعيد بن كوثر الطليطلي من بين هؤلاء حيث كان يقصد الطَّلبة مجلسه في وقت الشِّتاء، وحرص على توفير الرَّاحة في مجلسه من دفئ ومأكل ومشرب. ومن شدَّة ولع أهل الأندلس بتحصيل العلوم لم يكترثوا بصعوبة الطقس أو الظروف الصعبة المحيطة بهم.[4]

كما عقدت بعض حلقات الدرس في السُّجون بعد أن تعرَّض بعد العلماء إلى المحنة والحبس من طرف السُّلطة أمثال الأديب أحمد بن مفرج الجياني الذي كان يلتقي بتلامذته في السِّجن ليلقنهم علم الأدب واللُّغة، وقد حبسه الحكم المستنصر بعد أن بلغه كلام عنه.

كما أنَّ بعض العلماء اشتغلوا بشؤون التِّجارة والبيع لكن لم يمنعهم ذلك من تأدية رسالتهم النَّبيلة في تعليم جيل الأمَّة، فقد كان يعقد بعض هؤلاء الدروس في دكَّانه كما كان يفعل العالم المقري ابراهيم بن مبشر البكري الذي كان له دكَّان قرب المسجد الجامع في قرطبة يدرس فيه، وينقِّط المصاحف ويعلِّم المبتدئين.[5]

---

[1] **يوسف بن اسماعيل بن نغرالة اليهودي:** وهو سليل أسرة بني نغرالة أو نغريلي التي ازدهرت في غرناطة أيام باديس بن حبوس، أنظر محمد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، عص3، قس2، ص 235. ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج1، ص243.

[2] عبد الكريم فايزي: المرجع السابق، ع4، 506-507.

[3] ول ديورانت، **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1408هـ، 1988، ج13، ص 285

[4] ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 41.

[5] سعد عبد الله صالح البشري: المرجع السابق، ص 142-143.

ولقد شاركت النِّساء أيضا في هذه المهمَّة حيث كانت تعقدن حلقات للدَّرس لمثيلاتهن من النِّساء، وكانت الأديبة مريم بنت أبي يعقوب الفيصولي من أبرزهن وكانت تقيم في اشبيلية.[1]

ولم يهمل الحكم المستنصر الفئة الضَّعيفة والفقيرة في المجتمع فقد سعى وحرص على تعليمها وتثقيفها، ومن أجل ذلك بنى في عاصمته سبعا وعشرين مدرسة تلقِّن الطلبة من العامة مختلف العلوم وبدون مقابل أو أي أجر يدفعونه ، وتكفَّل هو بنفسه بسداد أجور المدرِّسين فيها من ماله الخاص.[2]

المبحث الرابع: دوره في الجانب المعماري

زيادة المسجد الجامع بقرطبة:

يعدُّ المسجد الجامع في قرطبة من أبرز الآثار الإسلامية في العالم، فلم يسبق أن خلَّد مسجد في كتب التَّاريخ وحظي بالاهتمام من قبل المؤرِّخين والرَّحالة المغاربة والأندلسيين مثله. وكان هذا المسجد ذا مقام عال عند أهل الأندلس فهم يحجُّون إليه من بقاع الأندلس، وفي ذلك يقول الشَّاعر الأمير عبد الرحمان الأوسط ابن المثنى:

بَنَيْتَ لله خَيْـــرَ بَيْتٍ يَخْرُسُ عَنْ وَصْفِهِ الأَنَامُ
حَـــجَّ إِلَيْهِ بِكُلِّ أَوْبٍ كَأَنَّهُ المِسْـجِدُ الحَـــرَامُ
كَـــأَنَ مِحْرَابُهُ إِذَا مَـــا حَفَّ بِهِ الرُّكْنُ وَالمَقَـامُ[3]

ويعد كذاك إحدى مفاخر الأندلس الأربعة، وفي ذلك يقول القاضي ابو محمد بن عطية:

بِـأَرْبَعَةٍ فَاقَتِ الأَمْصَارَ قرْطُبَةً مِنْهُنَّ قَنْطَرَةُ الوَادِيْ وَجَامِعُهَا
هَاتَانِ ثِنْتَانِ وَالزَّهْرَاءُ ثَالِثَـــةٌ وَالعِلْمُ أَكْبَرُ شَيْءٍ هُوَ رَابِعُـهَا[4]

ومما يدلُّ على مكانته أيضا أن ثلاثة أرباع من وصف الحميري لمدينة قرطبة كان حول هذا المسجد، وذلك راجع لصنعته المحكمة وحرص خلفاء بني أميَّة عل إضفاء الجديد وتنافسهم في بنائه

[1] ابن بشكوال: المصدر السابق، ج1، ص 656.

[2] رينهارت الدوزي: المرجع السابق، ج2، ص 68.

[3] السيد عبد العزيز السالم: **المساجد والقصور في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، مصر، الإسكندرية، 1986م، ص 09-10. وتعد هذه الأبيات تحتوي على نوع من المبالغة إذ شبه هذا الجامع بالمسجد الحرام، فشتان مابينهما. وكثيرا ما يقع الشعراء في هذه المبالغات خاصة في مدحهم للملوك والخلفاء.

[4] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 616.

وصيانته،[1] فيقول فيه: " من أجلّ مصانع الدُّنيا كبر مساحة، وأحكام صنعة، وجمال هيئة، وإتقان بنية، تهمَّم به الخلفاء المروانيون فزادوا فيه، زيادة بعد زيادة، وتتميم اثر تتميم، حتَّى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف، ويعجز عن حسنه الوصف ".[2]

ويقع المسجد الجامع بقرطبة على امتداد الواجهة الشرقية للقصر الخلافي وإلى شمال قنطرة قرطبة. ويفصل بينه وبين القصر الطَّريق الأعظم المسمَّى بالمحجة البيضاء.[3]

كما أنَّ المسجد الجامع بقرطبة لم تقتصر مهامه على العبادات والأمور الدِّينية بل تعداه إلى أمور أخرى، فكان مركز المهام الكبرى ومصدر القرارات السياسية، وكانت تؤخذ فيه بيعة الأمير أو الخليفة الجديد، وتعلن فوق منبره عظائم الحوادث، وتقرأ الأوامر والأحكام الأخلاقية الهامة، ويعقد فيه مجلس قاضي القضاة، إضافة إلى كونه جامعة تخرج الطُّلاب.[4]

وبعد أعوام شهدت الأندلس تزايد الطَّلبة السُّكان عليه بسبب الرَّخاء والأمان الذي عمَّ أرجاء البلاد في عهد الخليفة الناصر شكَّل ذلك مشكلة عويصة، فقد اكتظت جوانبه بالمصلِّين والوافدين عليه،[5] فأخذ الخليفة الحكم هذا الوضع بعين الإعتبار وجعل مسألة توسعة المسجد الجامع من أولويَّاته، أصدر الحكم مرسوما يقضي بتوسيع المسجد في ثاني أيام حكمه،[6] وكلَّف بهذه المهمَّة حاجبه جعفر بن عبد الرحمان الصُّقلبي في الرَّابع من شهر رمضان 350هـ/961م. وفي هذا الشَّهر توجَّه جعفر بأمر من الخليفة سوق الصُّخور – المادَّة الأولية – وجلبها للجامع،[7] ثمَّ أحضر المهندسين والبنَّائين للقيام بدراسة حالة المسجد وتحديد الخطوات اللَّازمة لهذا المشروع، وخرج الخليفة بنفسه

[1] سلمى الخضراء الجيوسي: المرجع السابق، ج1، ص 192.

[2] الحميري: **صفة جزيرة الاندلس**، تح: ليفي بروفنصال، دار الجيل، ط2، لبنان، بيروت، 1408هـ، 1988، ج1، ص 153.

[3] السيد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج1، ص 195.

[4] محمد عبد الله عنان: **الأثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، مكتبة الخانجي، ط2، مصر، القاهرة، 1417هـ، 1997م، ص 21-22.

[5] عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص 413.

[6] خالد الصوفي: **تاريخ العرب في الاندلس**، مكتبة دار الشرق، ط1، سوريا، حلب، (د، ت، ط)، ص 60.

[7] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص233

لمعاينة المسجد ونظر في المتطلَّبات التي يحتاجها لإنجاح العمل وعمل على توفيرها،[1] وقد بدأ العمل فيه بالفعل في يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة 351هـ/911م، وذلك حسب التَّقرير الذي كتبه الحكم المستنصر بخطِّ يده.[2]

وبعد مراجعة حالة المسجد تم تحديد الزيادة التي ينبغي أن تضاف من قبلة المسجد إلى آخر المساحة الفارغة منه بشكل طولي لأحد عشرة بلاطا، وامتدَّ طول الزيادة من الشمال إلى الجنوب خمسة وتسعين ذراعا، أما عرضها من الشرق إلى الغرب مثل عرض الجامع على حد السواء، وقطع من هذا ساباط[3] القصر المخصص لخروج الخليفة إلى الصلاة بجانب المنبر بداخل المقصورة،[4] ولكن بعض المشائخ اعترض عن هذا التَّعديل الذي يمسُّ المحراب، لأنَّ الحكم أراد تحريف القبلة نحو الشَّرق كما فعل أبوه مع قبلة جامع الزَّهراء، فحضر العلماء وشاورهم في ذلك، فقال له الفقيه أبو ابراهيم:

" يا أمير المؤمنين، إنَّه قد صلَّى إلى هذه القبلة خيار هذه الأمَّة من أجدادك الأئمَّة وصلحاء المسلمين وعلمائهم، منذ افتتحت الأندلس إلى هذا الوقت، متأسِّين بأوَّل من نصَّبها من التابعين كموسى بن نصير وحنش الصَّنعاني وأمثالهما، رحمهم الله تعالى؛ وإنَّما فضل من فضل بالاتِّباع، وهلك من هلك بالابتداع، فأخذ الخليفة برأيه، وقال: نعم ما قلت، وإنَّما مذهبنا الإتِّباع. "[5] ووفق هذا الطَّرح تمَّ بناء قبَّة المحراب سنة 354هـ/965م واستغرق بناؤها ثلاث سنين كاملة،[6] ويحيط بهذه القبَّة

---

[1] يذكر ابن عذاري أن الحكم لم ينظر في زيادة المسجد بنفسه بل بعث لجنة مختصة في ذلك حيث يقول: " كان ازدحام الناس بالمسجد الجامع بقرطبة وتضاغطهم حتى كادت النفوس تتلف؛ فأمر الحكم المستنصر بالله بتوسعته والزيادة فيه، فأتى القاضي منذر ابن سعيد إلى الجامع، ومعه صاحب الأحباس والفقهاء والعدول بما اجتمع قبله من أموال الأحباس، فنظروا في الزيادة فيه." وكان ذلك في سنة 353هـ، وقد رجح أغلب المؤرخين أن الزيادة كانت في مستهل خلافة الحكم المستنصر بالله. أنظر ابن عذاري : المصدر السابق، ج2، ص 236.

[2] عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص 413-414.

[3] **ساباط**: هو سقيفة بين حائطين تحتها طريق، والجمع سوابيط وساباطات، الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1407، 1987م، ج3، ص 1129. ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، ط3، لبنان، بيروت، 1414هـ، ج7، ص 311.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 234.

[5] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 562.

[6] السيد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج1، ص 340.

الأخيرة قبتين جانبيتين تؤلِّفان معها ما يشبه المجاز في الكنائس.[1] ولقد تمَّ جلب الفسيفساء لتزيين المسجد في السَّنة نفسها، بعد أن طلبها الخليفة الحكم من ملك الروم وأمره بإحضار صانعها ليقف على تركيبها، متيمنا ومقتديا بما فعله الوليد بن عبد الملك في بنيان مسجد دمشق، وقد تمَّ له ذلك ورجع الوفد للأندلس وهو محمَّل بمقدار ثلاثمائة وعشرين قنطارا من الفسيفساء، فوجِّه العامل لورشة العمل وألحق به مجموعة من الصنَّاع لتعلِّم هذه الحرفة، وقد أبدعوا الصَّنعة، وواصلوا العمل بدون الصَّانع بعد أن تعلَّموها على يده.[2]

وتضمَّنت قبَّة المحراب في قاعدته المشبَّكة كتابة تذكارية جاء فيها: " ..ذلك عالم الغيب والشَّهادة العزيز الرَّحيم هو الحقُّ لا إله إلَّا هو فأدعوه مخلصين له الدِّين. الحمد لله ربِّ العالمين موفق الإمام المستنصر بالله عبد الله الحكَم أمير المؤمنين أصلحه الله لهذه البنية المكرمة ومعينه على نيَّته الخالدة في التَّوسع لرعيَّته ... إليه وإليهم الرَّغبة فيما ابتدا من فضله فيهم وصلى الله على محمد وسلم ...أمر الإمام المستنصر بالله عبد الله الحكم أمير المؤمنين وفَّقه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرحمان رحمه الله بتشبيك هذه البنية، فتمَّ بعون الله بنظر محمد بن تمليخ وأحمد بن نصر وخالد بن هاشم اصحاب شرطته ومطرف بن عبد الرحمان الكاتب... "[3]

وقد كتب فوق عقد المحراب نقش كوفي جاء فيه: " بسم الله الرحمان الرحيم أمر عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله مولاه وحاجبه جعفر بن عبد الرَّحمان رحمه الله يعمل هذه الفسيفساء في البيت المكرَّم، فتمَّ جميعها بعون الله سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. "[4]

وبنى الحكم المستنصر مقصورة ملكية خاصة من الخشب منقوشة من الدَّاخل والخارج، مشرفة الذَّروة مصنوعة على الطِّراز البزنطي،[5] وفي سنة 355هـ/966م أمر بوضع المنبر القديم إلى جانب المحراب.[6]

---

[1] السيد عبد العزيز سالم: **المساجد والقصور في الأندلس**، ص 23.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 237.

[3] وفاء عبد الله بن سليمان المزروع: المرجع السابق، ص 122-123.

[4] السيد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج1، ص 342.

[5] عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق، ص 414.

[6] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص238.

وقام الحكم المستنصر بهدم الميضأة القديمة التي كانت بفناء الجامع، التي كان يجلب لها الماء من بئر السَّانية، وبنى بدلها أربع ميضآت في كلِّ جانب من جانبي المسجد الشَّرقي والغربي، منهما إثنتان ذات حجم كبير خاصة بالرِّجال و إثنتان ذات حجم أصغر للنساء،[1] وزوَّدها بالماء من عين بجبل قرطبة، خرق له الأرض، وأجراه في قناة من حجر متقنة البناء والصَّنعة، ووضع في جوفها الرَّصاص لتحفظه من كلِّ دنس[2]

واختتم الخليفة الحكم المستنصر بالله مشروعه لزيادة المسجد الجامع بقرطبة ببناء دار للصَّدقة تقع غربي الجامع، وجعلها معهدا لتقسيم الصَّدقات على المحتاجين، وبنى بيوتا للإيواء الفقراء مقابلة لباب المسجد الكبير الغربي.[3]

بلغت تكلفة هذه الزِّيادة حوالي " مائتي ألف وأحد وستين ألفا وخمسمائة وسبع وثلاثين دينار ودرهم ونصف." وكان قد فرغ من بناءه سنة 355هـ/966م. كما وُجِد مكتوبا بخطِّ الحكم المستنصر.[4]

مسجد مرجان:

لقد خلَّد الحكم المستنصر بالله أسماء بعض الأقربين لديه في التَّاريخ بتسمية بعض الأماكن والمؤسسات بأسمائهم ومن بين هؤلاء أمه مرجان فقد بنى مسجدا يحمل اسمها، وهو من المساجد الواسعة البناء لكثرة الأموال التي أنفقت عليه في زخارف والخدم المجلوب له للوقوف على خدمته، واهتم الخليفة به اهتماما شديدا فجلب له أمهر البنَّائين حتَّى صار بذلك من أفخم العمائر بقرطبة[5]

القصر الغربي بمدينة الزَّهراء:

يعتبر هذا القصر من أبرز المعالم المعمارية التي خلَّدها الخلفاء الأمويين في الأندلس، فقد كشفت الأبحاث الأثرية الحديثة عن عدة دلائل وشواهد على ذلك، حيث عثر علماء الآثار أثناء التنقيب في موقع القصر على تاجي عمودين منقوش عليهما اسم الحكم المستنصر، ولم يحفظ من

---

[1] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص555.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق،ج2، ص 240

[3] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 555-556.

[4] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص241. يذكر صاعد الأندلسي في ترجمته للعالم محمد بن تمليخ أنه تم اكمال الزيادة في جامع قرطبة سنة 358هـ/969م. انظر صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، ص80.

[5] عبد القادر بن علي: المرجع السابق، ص 47.

أطلال القصر سوى قسمه الشَّمالي الذي يكاد يلاصق سور المدينة الشَّمالي المزدوج، كما تمَّ العثور على بقايا زخرفية من نوع حذوة الفرس، وبنيقات، وأشرطة مقوَّسة، وآثار حجرية حفرت فيها جميعا زخارف من التَّوريقات، وتمَّ العثور أيضا على قطع حجرية تزدان بزخارف هندسية من النُّقوش الكتابية، ويحمل بعضها اسم الحكم.[1]

وحسب قول الأستاذ جومث مورينو فإن هذا القصر تم تخصيصه لهشام المؤيِّد بن الحكم المستنصر وحجره فيه أيام سيطرة الحاجب المنصور بن ابي عامر، ويستدِّل على قوله هذا بأن القصر يقع في مكان معزول عن المدينة، وبعيدا عن بقيَّة قصور الخلافة كما يتواجد في موضع يصعب الوصول إليه.[2]

وتعدُّ أحجار هذا القصر من نوع رديء مصفوفة، وأغنى مكان فيه هو قاع المخادع التي تحتوي على أعمدة مزخرفة وبلاطات حمراء مربعة.[3]

ترميم القنطرة قرطبة:

تعد قنطرة من أبرز المعالم المشهورة بقرطبة، ويقول المقري في وصفها: "والقنطرة التي على هذا النهر (نهر قرطبة أو الوادي الكبير) من أعظم آثار الأندلس وأعجبها، أقواسها سبع عشرة قوسا"[4]. وقد بنيت منذ عهد الولاة الفاتحين، على يد السمح بن مالك الخولاني ستة 101هـ/719م بأمر من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز،[5] وقد عمل أمراء بني أمية في الأندلس على تشييدها وتحسينها بعد ذلك، جيلا بعد جيل.[6]

ولما جاء عهد الحكم المستنصر عمل هو أيضا على تحسينها وترميمها بعد أن أضرت بها الفيضانات والسيول المتعاقبة عليها، ففي يوم الأربعاء لخمس خلون من ذي القعدة سنة

---

[1] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 149.

[2] السيد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج2، ص18.

[3] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 150.

[4] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 480.

[5] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 26.

[6] المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ج1، ص 480.

360هـ/971م،[1] أمر الحكم بعمل سد منيع مكون من الأخشاب والصخر الصلب، والرمل، ويكون بحاشية النهر، وملتق بالجسر ليمنع وصول المياه إلى القنطرة ليتم كشف دعائمها التي تآكلت بفعل المياه وطول المدة.[2] "فكشط جبسها وخوَّف من وهيها".[3] وكان الحكم يراقب سير العملية بنفسه، كما حرص على تعجيل الاعمال والاسراع في اتمامها.[4]

وفي النصف من ذي الحجة أضاف الحكم سد المنعة المعقود اسفل نهر قرطبة وفي الناحية الشرقية للقنطرة سعيا منه لصرف المياه عن أرجل الحنايا التي ضعفت، فيصبح هذا مهددا لسلامتها، وبعد ان تم عزل المياه اقتلع الحجارة الخاصة بقنوات الرحى الواقعة بقرب الرصيف الغربي للقنطرة، من أجل صرف الماء عن الدعائم كي يستطيع الوصول اليها لإصلاح أسسها وتقوية ضعفها، وقد تم توقيتها بتوابيت من خشب ضخمة، وأوتاد سميكة من الحديد الضخم، والصخر الصلب.[5] وبقرب فصل الشتاء ازداد قلق الحكم المستنصر لأن منسوب في النهر سيزداد مع تهاطل الأمطار الذي يسبب عطلا في الأشغال، فعجل العمل بها. وقد تمكن العاملون به على اتمام بناء هذا السد في 26 من محرم سنة 361هـ/972م، وتم إصلاح الرحى في شهر صفر الموالي. [6]

[1] ابن حيان: المصدر السابق، ص 58.

[2] سالم السيد عبد العزيز: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج1، ص 199.

[3] ابن حيان: المصدر السابق، ص 58.

[4] أحمد فكري: **قرطبة في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، مصر، الإسكندرية، 1983. ص 175.

[5] ابن حيان: المصدر السابق، ص 64.

[6] نفسه، ص 65.

الخاتمة

خلصت دراستنا عن حياة ودور الحكم المستنصر في الدولة الأموية في الأندلس إلى نتائج وآفاق، هي كالتالي:

1- نتائج الدراسة

- لقد كان للخليفة عبد الرحمان الناصر دور كبير في بروز شخصية الحكم المستنصر في التاريخ الإسلامي، فقد كان الحكم بمثابة المشروع الناجح الذي بذل فيه الناصر كل جهوده، فقد حرص على تعليمه شؤون الحكم وإقحامه ميدان السياسة في وقت مبكر .
- الصراع حول السلطة سنّة من سنن الحياة، فهو سبب في انهيار الدول وزوالها. وقد تعرّض الحكم لبعض المؤامرات من المقرّبين إليه طمعا في السلطة والجاه.
- عمل الحكم المستنصر على إرساء العدل والعمل به في دولته، لأنّه السبيل الوحيد لقيام الدول وصلاح أحوالها، ويؤكّد ابن خلدون ذلك بقوله: "العدل إذا دام عمَّر، الظلم إذا دام دمَّر".
- كان الحكم المستنصر واعيا ومدركا لقيمة التاريخ وضرورة الاستفادة من سير الأولين الذين تمكّنوا من إقامة دول صارت مضربا للمثل.
- وفّق الحكم المستنصر في مجال العلاقات الخارجية تجاه الدول النصرانية والإسلامية، حيث حافظ على ما حقّقه أبوه الناصر من قبل. ويرجع ذلك إلى احتكاكه بهم في وقت مبكّر منذ أن كان وليّا للعهد، من خلال الوفود التي كانت ترد على البلاط، ومشاركته في الحروب مع أبيه. وبعد أن أصبح خليفة لم يكن التعامل معهم أمر صعبا.
- كان الحكم المستنصر نموذجا يحتذى به في تحمّل المسؤولية، فقد كان يقف على الأعمال والمشاريع في الدولة بنفسه، ويعاينها، ويحرص على إتقانها.
- كان الحكم المستنصر مدركا لأهمّية نشر العلم في دولته وتثقيف رعيته، لأنّ تطوّر البلاد مقرون بمدى علم أهلها.
- حرص الحكم المستنصر على العمل بمنهج إتباع السابقين من خيار الأمّة في تسيير شؤون حكمه واتّخاذ قرارته. كما كان ينكر الابتداع الذي يعدّ سبيلا للهلاك.
- لم تشهد فترة خلافة الحكم المستنصر ثورات داخلية التي كانت شائعة في عهد أجداده من قبل، والتي كان سببها الرئيسي العصبيات القبلية. ويرجع سبب زوالها للرخاء والازدهار الذي

شهدته الأندلس حينها. ويذكر بن خلدون مؤكّدا على ذلك بقوله: "إنّ الرخاء والازدهار والأمن تساهم في الحدّ من العصبية، بينما الحروب والخوف والفقر تعزز من العصبية".

- استطاع الحكم المستنصر بناء حضارة مزدهرة في الأندلس من خلال فهمه لعوامل قيامها والعمل على توفير الجوّ المناسب لها. وقد اهتمّ بالعنصر الأساسي لتحقيقها وهو الإنسان .
- احتوت الأندلس في عهد الحكم المستنصر على أكبر مكتبة في العالم آنذاك، ضمّت جنباتها مختلف الكتب النفيسة والنادرة.
- الحكم المستنصر من الخلفاء القلال في العالم الذين جمعوا بين العلم والسياسة، حتّى أنه صنف من العلماء، وأصبح مرجعا لأهل زمانه.
- لقد كان هناك تأثير جليّ للصقالبة في نظام الدولة، وقد احتلّوا مناصب مرموقة في عهد الحكم المستنصر.
- شهد عهد الخليفة الحكم بروز عدة علماء في شتى المجالات أمثال ابن حزم، وأحمد بن عبد الملك الإشبيلي
- ساهم الحكم المستنصر في تشجيع حركة التأليف والترجمة للاستفادة من علوم وخبرات الدول القائمة في عصره.
- عرفت الأندلس انتعاشا ملحوظا في الحركة العلمية فقد اهتمّ أهلها بالكتب والمكتبات، كما أصبحت تستقطب الطلّاب والعلماء من كلّ الجهات.
- أصبحت قرطبة عاصمة الخلافة الأموية من أشهر الحواضر العلمية في العصر الوسيط وأصبحت تضاهي بغداد والقاهرة.

2- آفاق الدراسة:

لا يمكن لدراسة أن تلمّ بموضوع بكلّ حيثياته ومن كلّ الجوانب المتعلّقة أو المرتبطة به، لذلك تتفتّح على آفاق للدراسة من أجل أن تتظافر الجهود البحثية ويُكْمِل اللاحق السابق فيها، ومن بين هذه الآفاق:

- دراسة الحياة الاجتماعية في قرطبة خاصّة، وفي الأندلس عامّة، وذلك لمعرفة التأثيرات السياسية والعسكرية على حياة الأندلسيين.
- دراسة معمّقة لتأثير ظهور المكتبات في بلاد الأندلس على عهد الحكم المستنصر بالله.

- تحليل المنتوج العلمي في الأندلس، وتأثيره على العقل الأندلسي، وموقف المثقّفين منه.
- غزوات الأمويّين للنصارى، وتطوّرات العلاقات بينهما، وتأثير ذلك على مركز الخلافة في الأندلس.
- دراسة عن العصبية القبلية ودورها في عهد الحكم المستنصر، أو في آخر الدولة الأمويّة، وتأثير ذلك على سياسة العامريين بعدهم.
- دراسة مقارنة للشخصيات الحاكمة في الأندلس منذ قيام الإمارة الأموية إلى سقوط العامريين.

الملاحق

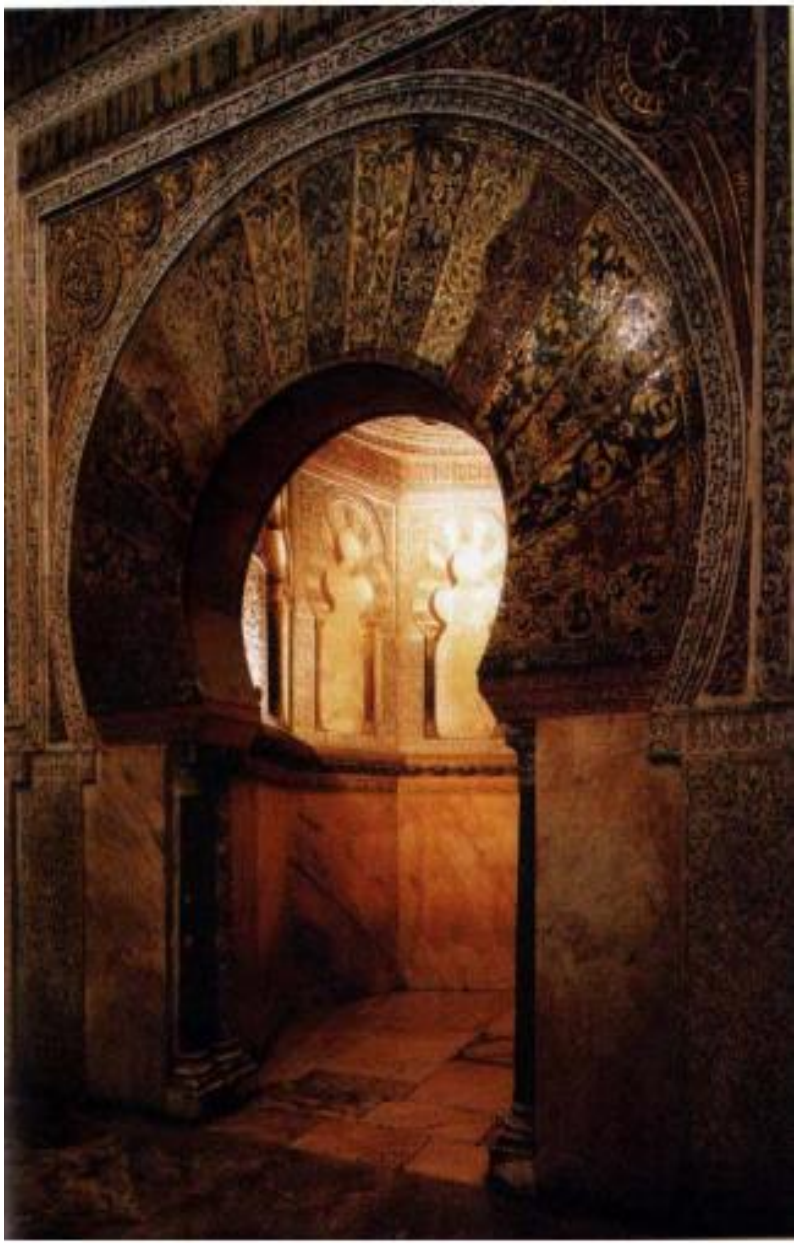

الملحق 01: صورة لمحراب المسجد الجامع بقرطبة المزين بالفسيفساء الملونة[1]

[1] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 176

الملحق 02: صورة لفسيفساء مصنوعة بدقة لإحدى قصور الحكم المستنصر[1]

[1] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 173.

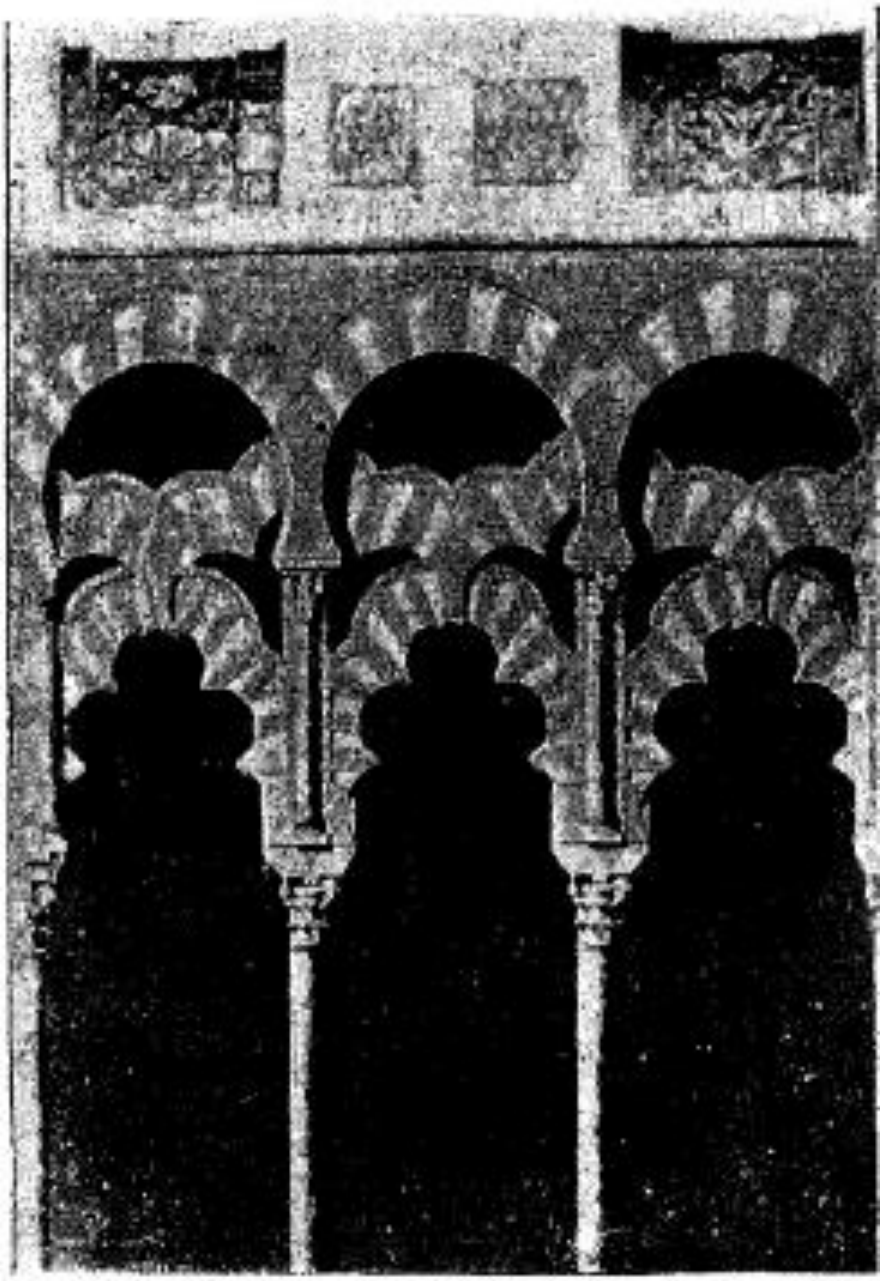

الملحق 03: صورة لعقود مدخل المحراب[1]

[1] محمد عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، ص 23

الملحق 04: صورة للأعمدة والأقواس والزخرفة الموجودة في بهو إحدى قصور الزهراء[1]

[1] فاطمة الزهراء مسوسة: المرجع السابق، ص 175

الملحق 05: صورة لزخارف محفورة في الرخام بمحراب جامع قرطبة[1]

[1] أحمد فكري: المرجع السابق، ص 223

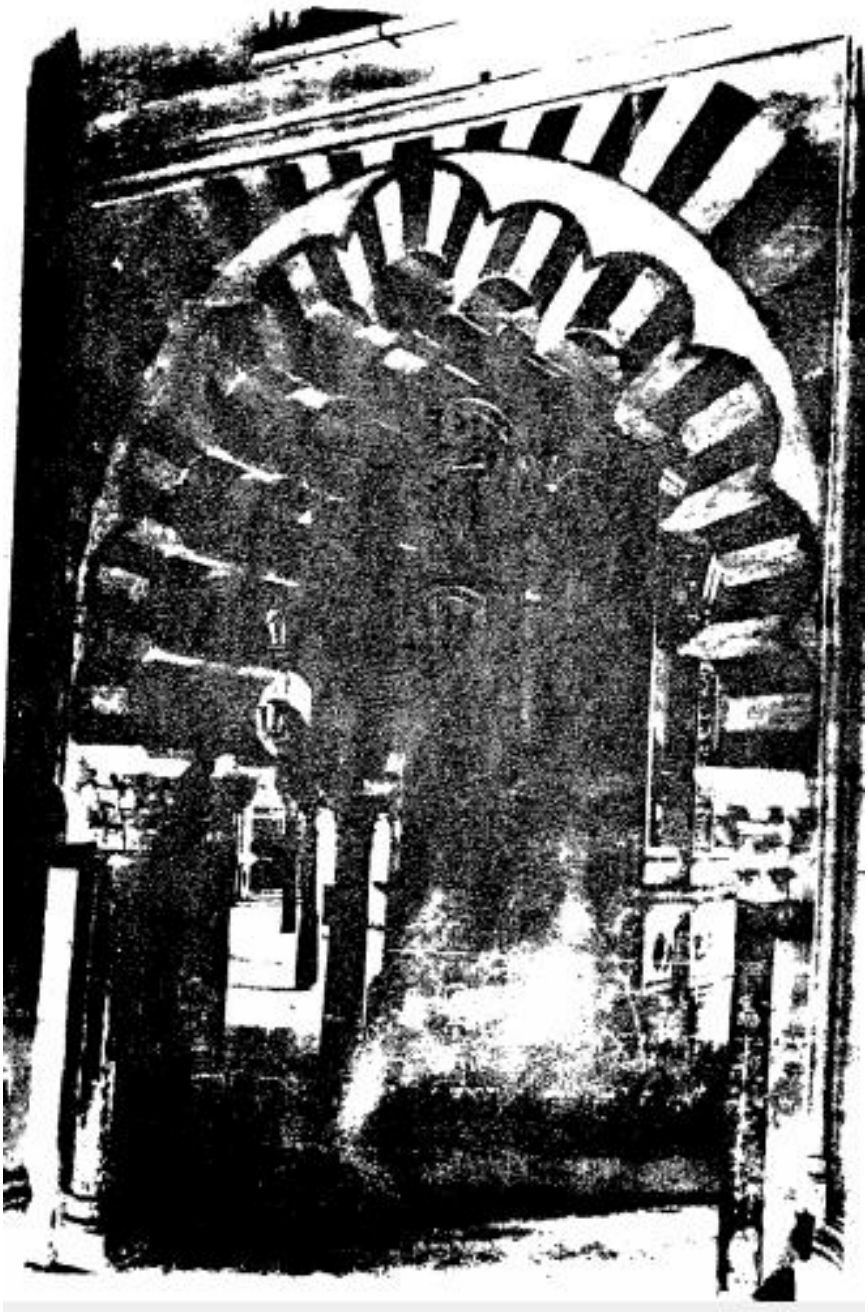

الملحق 06: صورة لنموذج لعقود الزيادة الحكمية بجامع قرطبة[1]

[1] أحمد فكري: المرجع السابق، ص 315

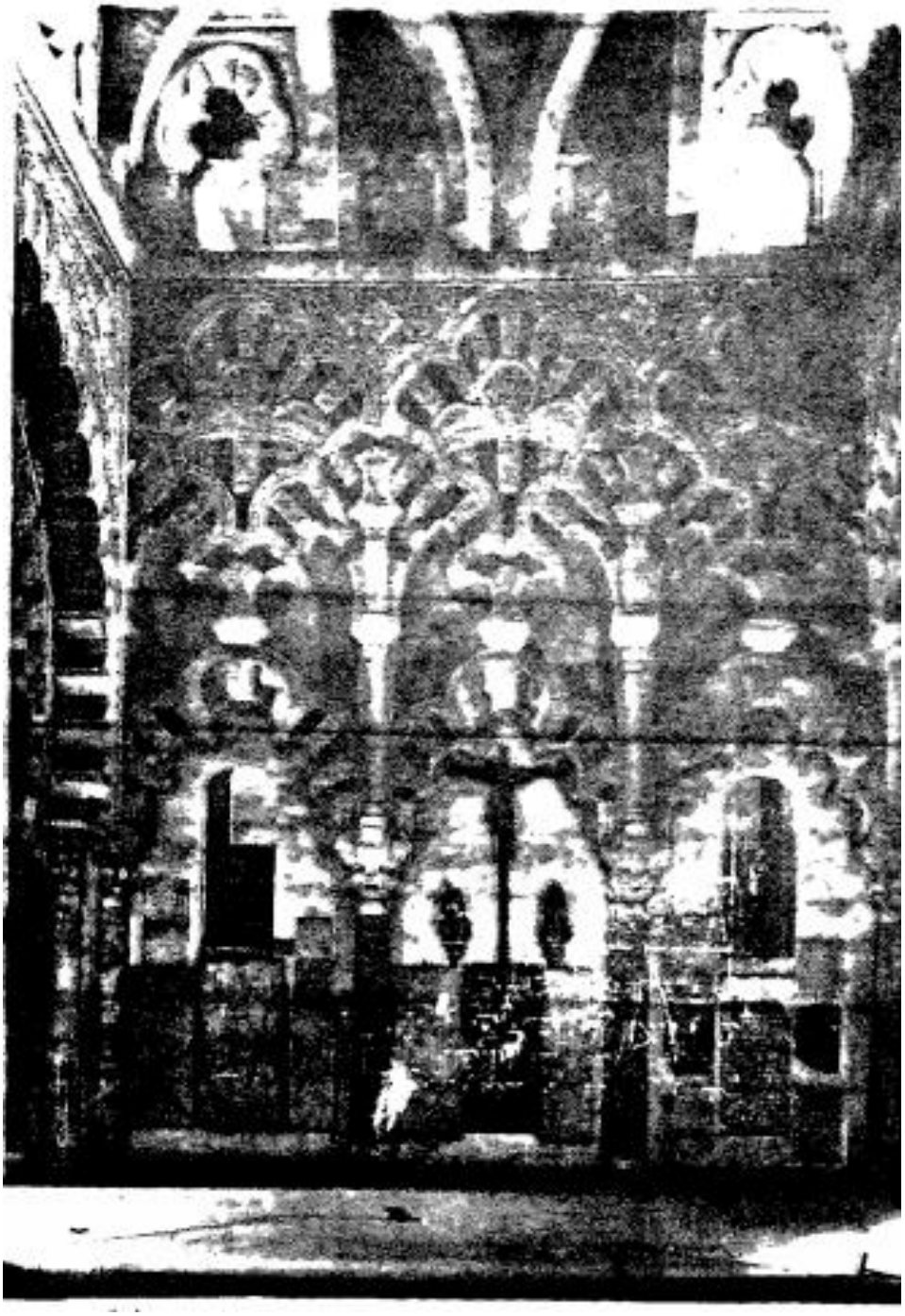

الملحق 07: صورة لنموذج للأقواس التي تحمل قبة الضوء بجامع قرطبة التي أضافها الحكم المستنصر[1]

[1] أحمد فكري: المرجع السابق، ص 313.

أمراء بني أمية في الأندلس:

عبد الرحمن الأول	138هـ-756م
هشام الأول	172هـ-788م
الحكم الأول	180هـ-796م
عبد الرحمن الثاني	206هـ-822م
محمد الأول	238هـ-852م
المنذر	273هـ-886م
عبد الله بن محمد	275هـ-888م

خلفاء بني أمية في الأندلس:

عبد الرحمن الثالث	300هـ-912م
الحكم الثاني المستنصر	350هـ-961م
هشام الثاني المؤيد	366هـ-976م
محمد الثاني المهدي	399هـ-1009م
سليمان المستعين	400هـ-1009م
محمد الثاني(مرة ثانية)	400هـ-1010م
هشام الثاني(مرة ثانية)	403-407هـ/ 1013-1016م
سليمان المستعين (مرة ثانية)	403-407هـ /1013-1016م
عبد الرحمن الرابع المرتضى	409هـ-1018م
عبدالرحمن الخامس المستظهر	414هـ-1023م
محمد الثالث المستكفي	414هـ-1024م
هشام الثالث المعتمد	418-422هـ/ 1027-1031م

الملحق 08: صورة لجدول يوضح الأمراء والخلفاء الذين حكموا الأندلس في عصر الدولة الأموية[1]

[1] عبد الوهاب عيفة: المرجع السابق، ص 143.

الملحق 09: صورة لخريطة للأندلس في عهد خلافة الناصر وابنه الحكم المستنصر[1]

[1] عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 141.

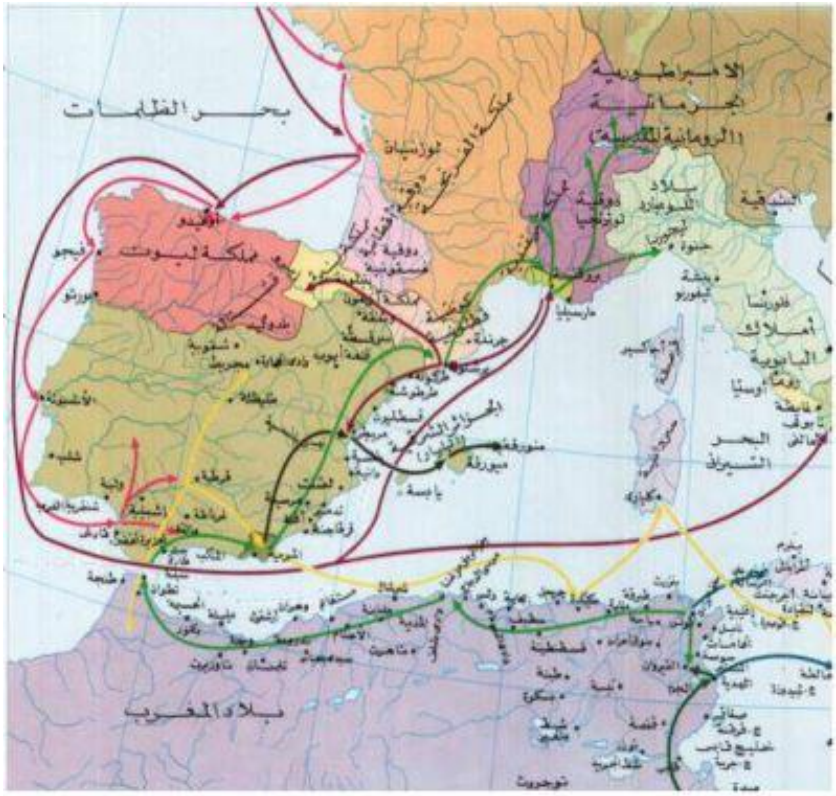

الملحق 10: صورة لخريطة توضح مراحل الغزو النورماني للسواحل الأندلسية في عصر الدولة الأموية[1]

[1] عبد الوهاب عيفة: المرجع السابق، ص 142.

كاد أن يزحمَ الغـــــــدوَّ العشيُّ يومَ وافاك السلامِ النـــــــــــديُّ

يُؤْنسُ البعضَ منه بعضٌ جلاهُ وجهُكَ الطلقُ لا الصبـــاحُ الجليُّ

قابلَ الفطرُ منك اكبـــرَ منه وهو من وفـــــدِك الكريمُ النـــيّ

فهنيئاً للعيـــــــد زورُ إمـــــامٍ كـــلُّ عيشٍ منه هـــــــنيٌّ مريُّ

يحجبُ النورُ شخصَهُ حين يبدو فهـــو للناظريـــن : بـــادٍ جليٍ

ذُو جلال يُقصيه ساعةَ يبدو لمواليـــــــــه فهو : دانٍ قصـــيٍّ

يا ولاةَ الورى أصيخوا لقيـــلٍ أنا في نصِّـــــــــه: جبـــان جريّ

فـــي تولـــيِّ الإمـــــام وحيٌ من الله وعـــــاهُ عن جبرائيـــــــلَ النبيّ

غير أن الـــــذي يضـــــــافُ له الاســـــــم إلى الطاعـــــــــة التقـــيُّ الزكيُّ

والمـــوفَّى هذا وذا ملكٌ من سبْطِ عثمانَ هَدْيُـــهُ عُمَـــرِي

حرْتُ في وصفه على أنّ قلبي أحـــــوذيٌّ ومِقْـــولِي صَيْرفـــيّ

ولعمري لو ان سحبـــانَ أنحى لعلاهُ لعاب سحبانَ عِـــــــــيّ

أوحديُّ الصفات بل جلَّ عنها جللاَ قدرُهُ الجلـــــيُّ العلـــيُّ

غيـــــر أنـــي أنصُّ منهـــــا على قـــــدرٍ إذِ الاحتفـــــال صعبٌ أبـــــي

بهرَ الواصفيـــــن أنَّ تقـــــاهُ مَلَكـــــيٌّ وشَخْصَـــــهُ بَشَـرِي

إنْ ثنى حِلمُهُ الشذا فشـــــذاه أبطحـــيٌّ وحلمـــــه مدنـــي

إن أثير الحـديث والـــــرأي منه لم يـمت مالـــــك ولا النَّـخعي

كيـــــده في لعدا الفنـــــاء الذي [.....] فتـــأثـــيره ســـريـــــتع بـــطيء

وقد أغزيت جحـــــفلا لك فيه نظر ظـــــــاهرُ وســـــر خـــــفي

الملحق رقم 11: قصيدة محمد بن شخيص في مدح الحكم المستنصر[1]

[1] ابن حيان: المصدر السابق، ص 48-85.

قائمة المصادر

والمراجع

❖ المصادر:

1. **القرآن الكريم**
2. البخاري: **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، ط1، لبنان، بيروت، 1423هـ، 2002م.
3. ابن الأبار:
   - **التكملة لكتاب الصلة**، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1415هـ، 1995م، ج1
   - **الحلة السيراء**، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط1، مصر، القاهرة، 1962م.
4. إبراهيم إسماعيل ابن امير المؤمنين: **تاريخ الأندلس من الفتح إلى السقوط**، تح: أنور محمود زناتي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، القاهرة، 1428هـ، 2007م.
5. الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، ط1، لبنان، بيروت، 1409هـ، ج2.
6. الإشبيلي ابن خاقان: **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تح: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، ط1، لبنان، بيروت، 1403هـ، 1983م.
7. الأصطخري: **المسالك والممالك–ليدن**، دار صادر، (د، ط)، لبنان، بيروت، 2004م،
8. بشكوال: **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، (د، م، ط)، 1374هـ، 1955م.
9. البكري: **المسالك والممالك**، دار الغرب الإسلامي، (د، ط)، (د، م، ط)، 1992م، ج2.
10. الجوهري: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1407، 1987م، ج6.
11. ابن حزم الاندلسي:
   - **جمهرة أنساب العرب**، تح، ليفي بروفنسال، دار المعارف، (د، ط)، مصر، القاهرة (د، ت، ط)

- **رسالة نقط العروس**(**ضمن رسائل ابن حزم**)، تح: احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط2، لبنان بيروت، 1987م.

12. ابن حزم، ابن سعيد، الشقندي: **فضائل الأندلس وأهلها**، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط1، (د، م، ط) 1968،

13. الحموي ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، ط 2، لبنان، بيروت، 1995م، ج3، ص 23.

14. الحميدي: **جذوة المقتبس في تاريخعلماء الأندلس**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط 2، مصر، القاهرة، 1410هـ، 1989،

15. الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط 2، لبنان، بيروت، 1980م.

16. الحميري: **صفة جزيرة الاندلس**، تح: ليفي بروفنصال، دار الجيل، ط2، لبنان، بيروت، 1408هـ، 1988.

17. ابن حوقل: **صورة الأرض**، دار صادر، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1938م، ج1

18. ابن حيان:

- **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، لبنان، بيروت، 1426هـ، 2006.
- **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، تح: عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة، (د، ط)، لبنان، بيروت، (د، ت، ط).

19. الخشني: **قضاة قرطبة** ، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط2، مصر، القاهرة، 1410هـ، 1989م،

20. ابن الخطيب:

- **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تح: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، ط1 ، لبنان، بيروت، 2002م/1424هـ، ج2.

- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، مر: بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات، (د، ط)، الجزائر، الجزائر، (د، ت، ط) قس5.

21. ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، مر، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د، ط، لبنان، بيروت، 1421هـ-200م، ج1

22. ابن خلكان: **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: احسان عباس، دار صادر، (د، ط)، بيروت لبنان، 1398هـ-1978م، ج8.

23. الذهبي: **سيـــــر اعلام النبلاء** تر، حسان بن المنان، بيت الأفكار الدولية، د.م.ط، لبنان، بيروت، 2004م، ج3.

24. ابن ابي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، (د، ط)، المغرب، الرباط، 1972م،

25. الزركلي خير الدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، (د، ط)، لبنان، بيروت، (د، ت، ط)، ج8.

26. ابن سعيد المراكشي: **المغرب في حلى المغرب**، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، مصر، القاهرة، 2009م، ج1

27. صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم**، مر: لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1912م.

28. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1460هـ/2000م، ج29.

29. الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط1، مصرن القاهرة، 1410هـ- 1989م،ج2.

30. ابن عبد الملك المراكشي: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: احسان عباس، بشار بن عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، تونس، 2012، ج3.

31. ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب**، تح:كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، لبنان بيروت، 1983م، ج2.

32. عياض القاضي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تح: ابن تاويتالطنجي، بد القادر الصحراوي، محمد بن شريفة، سعيد أحمد أعراب، مطبعة الفضالة، ط1، المغرب، المحمدية، 1965، ج8.

33. ابن فرضي:

- **تاريخ علماء الاندلس**، تح: ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط2، لبنان، بيروت، 1410هـ-1989م، ج3.
- **تاريخ عماء الأندلس**، تص: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط 2، مصر، القاهرة، 1408هـ-1988م، ج2.

34. القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، (د، ط)، لبنان بيروت، (د، ت، ط).

35. القلقشندي: **صبح الأعشى**، دار الكتب الخديوية، (د، ط)، مصر، القاهرة، 1333هـ/1915م، ج15.

36. كاتب مراكشي: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية،(د، ط)، المغرب، الدار البيضاء، 1985.

37. الماوردي أبي الحسن: **الأحكام السلطانية**، تح، أحمد جاد، دار الحديث، (د، ط)، مصر، القاهرة، 1427هـ-2006م.

38. المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شر: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، ط1، لبنان، بيروت، 1426، 2006.

39. المقري التلمساني :

- **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** تح: إحسان عباس، دار صادر، (د، ط،) لبنان، بيروت، 1388هـ-1968م، ج8.
- **ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض**، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د، ط)، مصر، القاهرة، 1358هـ/1939م، ج5.

40. المقريزي: **إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، (د، ط)، لبنان، بيروت، (د، ت، ط)، ج3.
41. ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، ط3، لبنان، بيروت، 1414هـ، ج15.
42. مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، بيروت، 2007
43. مؤلف مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**، تح: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث المعهد ميغيل اسين، (د، ط)، اسبانيا، مدريد 1983م ج1،
44. الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، (د، ط)، المغرب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ج2.
45. الهنتاني نجم الدين: **المذهب المالكي في الغرب الاسلامي**، منشورات تبر الزمان، (د، ط)، تونس، تونس، 2004م،
46. الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إش: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، (د، ط)، المغرب، الرباط، 1401هـ، 1981م، ج13.
47. اليعقوبي: **البلدان**، دار الكتب العلمية، ط 1، لبنان، بيروت، 1422هـ.

❖ المراجع:

1. بوباية عبد القادر: **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري**، دار الكتب العلمية، (د، ط)، لبنان، بيروت، 2011م.
2. بيضون ابراهيم: **الدولة العربية في اسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 3، لبنان بيروت، 1406-1986م.
3. الجارم بك علي: **قصة العرب في اسبانيا**، مطبعة المعارف، (د، ط)، (د، م، ط)، (د، ت، ط).
4. الجيوسي سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، بيروت، ديسمبر 1998، ج2.

5. الحجي عبد الرحمان علي:

- **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، ط2، سوريا، دمشق، 1402هـ/1981.
- **العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية**، المجمع الثقافي، (د، ط)، الإمارات، أبو ظبي، 1425هـ، 2004م،

6. دوزي رينهرت، **المسلمون في الأندلس**، تر: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د، ط)، (د، م، ط)، 1994

7. دويدار حسين يوسف: **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، مصر، القاهرة، 1414هـ، 1994م

8. دياب حامد الشافعي: **الكتب والمكتبات في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، القاهرة، 1998م،

9. ديورانت ول ، **قصة الحضارة**، تر: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1408هـ، 1988، ج42.

10. زلوم عبد القادر: **نظام الحكم في الاسلام**، منشورات حزب التحرير، ط 6، 1422هـ-2006م.

11. سالم بن عبد الله الخلف: **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الاندلس**، مكتبة الملك فهد الوطنية ، (د، ط)، السعودية، المدينة المنورة 1424هـ-2003م، ج2.

12. سَّامرائي خليل ابراهيم، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مطلوب: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، لبنان، بيروت.

13. سيد عبد العزيز سالم:

- **قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، مصر، اسكندرية، 1997م ج2.

- **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة،** مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط) ، مصر، اسكندرية، 1997
- **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة،** مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط) ، مصر، اسكندرية، 1997

14. -شطشاط علي حسين: **تاريخ الاسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة،** دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (د، ط)، مصر، القاهرة، 2001م
15. صوفي خالد: **تاريخ العرب في الاندلس،** مكتبة دار الشرق، ط1، سوريا، حلب، (د، ت، ط)،
16. طقوش محمد سهيل: **تاريخ المسلمين في الأندلس،** دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، لبنان، بيروت، (د،ت،ط)،
17. عبادي أحمد المختار:
    - **في تاريخ المغرب والأندلس،** دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د، ط)، لبنان، بيروت (د،ت،ط).
    - **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،** مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، مصر، اسكندرية، (د، ت، ط)،
    - **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس،** دار منشأة المعارف، ط1، مصر، الإسكندرية، 2000م
18. عبد المنعم محمود عبد الحمان: **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية،** دار الفضيلة، (د، ط)، مصر، القاهرة، (د، ت، ط)، ج1
19. علي سعد قاسم: **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية،** دار البحوث للدراسات الاسلامية وإحياء التراث، ط1، الامارات، دبي، 1423هـ، 2002م، ج2،
20. عمران محمود سعيد: **إدارة الإمبراطورية البيزنطية للإمبراطور قسطنطين السابع،** دار النهضة العربية، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1980م

21. عنان محمد عبد الله:

- **الأثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال**، مكتبة الخانجي، ط2، مصر، القاهرة، 1417هـ، 1997م،
- **تراجم إسلامية شرقية وأندلسية**، مكتبة الخانجي، ط2، مصر، القاهرة، 1390هـ، 1970م
- **دولة الاسلام في الاندلس**، مكتبة الخانجي، ط4، مصر، القاهرة، 1417هـ-1997م. ج6.

22. فكري أحمد: **قرطبة في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، (د، ط)، مصر، الإسكندرية، 1983.

23. كولان، **الأندلس**، تر: ابراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، لبنان، 1980م.

24. مصطفى ابراهيم محمد: **سفارات الاندلس الى ممالك أوروبا المسيحية الكاثوليكية 138-422هـ/755-1031م**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، القاهرة، 1434هـ-2013م

25. مصطفى مسعد سامية: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 2000،

26. منوني محمد، محمد رزوق، إبراهيم القادري بوتشيش، وآخرون: **التاريخ الأندلسي من خلال النصوص**، الدارس للنشر والتوزيع، ط1، المغرب، الدار البيضاء، 1412هـ، 1991م

27. مؤلف مجهول: **تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لإبن كثير**، موقع الإسلام، http://www.al-islam.com ص450. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2،

28. مؤنس حسين:

- **شيوخ العصر في الأندلس**، دار الرشد، ط3، مصر، القاهرة، 1417هـ، 1997م.

- **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، ط2، مصر، القاهرة، 1418، 1997م.
- **موسوعة تاريخ الاندلس فكرو تاريخ وحضارة وتراث**، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، القاهرة، 1416هـ-1996م، ج2.

29. نعنعي عبد المجيد: **تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي**، دار النهضة العربيـــة، (د، ط) ، لبنـــان، بيروت، (د، ت، ط)

30. وراكلي حسن ، **ياقوتة الأندلس**، دار الغرب الاسلامي، (د، ط)، لبنان، بيروت، 1994

❖ الرسائل والمذكرات:

1. - عبد الله سليمان المزروع وفاء: **الخليفة الاموي الحكم المستنصر 350-366هـ**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تحت اشراف أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، السعودية، 1402-1403هـ/1982-1983م،

2. -الدليمي انتصار محمد صالح: **التحديات الداخلية والخارجية واجهت الأندلس خلال الفترة 300-366هـ/912-976م**، مذكرة لنيل شهادة المـاجستير، بإشراف ناطق صالح مطلوب، جامعة الموصل، العراق، 1426هـ-2005م

3. بن علي عبد القادر: **الدور السياسي والحضاري للخليفة الحكم المستنصر بالله**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص التاريخ السياسي والحضاري للأندلس، إش: بوداعة نجادي، جامع طاهر مولاي، الجزائر، سعيدة، 1436-1437هـ، 2015-2016م،

4. حاج ميلود: **الصراع الإسلامي النورماني في الأندلس في عهد عبد الرحمان الثاني**، رسالة ماجيستير، تخصص تاريخ وسيط، إش، سامية أبو عمران، جامعة الجزائر، الجزائر، 1428-1429هـ/2007-2008م،

5. خزعل مصطفى ياسين: **بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة العامة**، رسالة دكتوراء، تخصص فلسفة في التاريخ الإسلامي، إش: ناطق صالح مطلوب، جامعة الموصل، العراق، 1424هـ، 2004م،

6. سادة أحمد يوسف: **الفكر السياسي والعسكري للحاجب المنصور بن أبي عامر**، رسالة ماجستير، إش: محمد علي القوزي، عصام محمد شبارو، تخصص آداب، قسم التاريخ، جامعة بيروت، لبنان، 2016م،

7. عبادي قاسم ، **القيم الجمالية في الشعر الأندلسي في عصر الدولة الأموية**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراء، إش: سراب يازجي، تخصص الأدب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق، سوريا، 1436هـ، 2015

8. عبد الله صالح البشري سعد: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، (د، م)، تخصص التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، السعودية، 1418هـ، 1997م،

9. عيفة عبد الوهاب: **الغزو النورماندي لفرنسا وإسبانيا**، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ وسيط، إش، باقة رشيد، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 1435-1436هـ/2013-2014م،

10. مسوسة فاطمة الزهراء: **الحياة العلمية في عهد الحكم المستنصر بالله**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف راكة عمر، جامعة بن خلدون، الجزائر، تيارت، 1434-ه1435، 2013، 2014م،

❖ المقالات والمجلات:

1. صالح وائل: جهود الحكم المستنصر في تطور الحركة العلمية في الأندلس، **دراسات أندلسية**، ع06، تونس، تونس، 1411هـ، 1991

2. فايزي عبد الكريم: المكتبات في الأندلس ودورها في الحياة العلمية، **مجلة الباحث**، ع4، جامعة الشهيد حمة لخضر، الجزائر، الوادي، 1436هـ، 2014.

3. وهراني قدور: رسوم وتقاليد تعيين الحجاب بالأندلس في العهد الأموي، **الحوار المتوسطي**، مخبر البحوث والدراسات الإستشراقية في حضارة الغرب الإسلامي، ع7، الجزائر، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2014م.

الملخص

الملخص:

اعتلى الحكم المستنصر بالله الخلافة الأموية في الأندلس سنة 350هـ/961م، وتمكن من الحفاظ على دولة أبيه قوية ومتماسكة، بعد أن تعلم شؤون السياسة ومبادئها منه نتيجة تأثره الشديد به. وبفضل حنكته وذكائه استطاع تنظيم دولته والمحافظة على أمنها واستقرارها، واصلاح أحوال شعبها، وقد أخضع كل أعدائه في وأرغمهم على الاستسلام.

أمّا في الجانب الحضاري فقد بلغت الأندلس في عصره أوج عطائها بسبب اهتمامه الشديد بنشر العلوم وتسخير كافة الوسائل لذلك، حتى أصبح الطلاب يحجون إليها من كل مكان، ونتج عن ذلك ظهور العديد من العلماء الذين ذاع صيتهم في البلاد. حيث شهدت الأندلس نهضة الحضارية وحركة علمية كان الحكم المستنصر أبرز المساهمين فيه.

Résumé:

A l'epoque de khelifat omeyade sous l'emir adbel arrahmane al-nasser, eteit un etat fort et développé, sur tout les domaines, dont le systéme de l'etat a été etabli, dans ces circontances, d'où après la mort de son péré, abde arrahmane el-nasser a hérité du pouvoir de l'etat en andalousie, donc il a pour suivit le même systéme politique de son pére ou la seccurité et la stabilité de l'etat a été diposé et amaintenu son prestige, au niveau des relation extérieurs, et même les pays europeens, cherchent a etablir des relations avec son etat, aussi a reussi a repousser le danger des obeidi.

Sur le côte de la civilisation, et sur le plan culturel son epoque a était caracterise, par un vif interêt pour la scince et encourager les gents á s cultiver, d'où il fait paraitre plusiurs savants, egalement l'architecture, s'est developpé dans son pégne, dont ces vestiges de meurent temoinant, de la superiorite des peuples andalous.

فهرس المحتويات

المـــــوضوعات	الصـفحة
الفصل الأول: أوضاع الخلافة الأموية في الأندلس حين وتولّي الحكم المستنصر بالله	30-12
المبحث الأول: اتِّخاذ عبد الرَّحمان النَّاصر لقب الخلافة	14-12
المبحث الثاني: أوضاع الأندلس في عهد الناصر لدين الله	23-15
داخليا	15
خارجيا	20
المبحث الثالث: سيرة الحكم المستنصر بالله.	26-24
نسبه ومولده.	24
نشأته.	24
وفاته.	26
المبحث الرَّابع: الحكم المستنصر بالله ومنصب الخلافة.	30-27
الحكم المستنصر بالله وليا للعهد.	27
تولية الحكم المستنصر بالله الخلافة	28
الفصل الثاني: دور الحكم المستنصر بالله السياسي	51-32
المبحث الأول: سياسة الحكم المستنصر بالله الداخلية	33-32
سياسة الحكم المستنصر بالله في إصلاح أحوال الرعيَّة(الحياة الاجتماعية).	32
التنظيم الإداري للدولة في عهد الحكم المستنصر.	34
المبحث الثاني: سياسة الحكم المستنصر تجاه العالم المسيحي.	45-40
الممالك النصرانية.	40
النورمان.	42
الفرنجة	44
المبحث الثالث: سياسة الحكم المستنصر تجاه العالم الإسلامي.	51-45
العبيديون.	45
البربر	47

الأدارسة.	48
الفصل الثالث: دور الحكم المستنصر بالله الحضاري	78-53
المبحث الأول: شخصية الحكم المستنصر العلمية	60-53
مكانته العلمية.	53
أساتذته	54
مؤلّفاته.	56
مواقفه الفقهية.	57
أدبه: (شعره)	59
المبحث الثاني: تشجيعه للحركة العلمية في الأندلس	64-60
استقدامه للعلماء من مختلف الأمصار.	60
تشجيعه لحركة التأليف والترجمة.	61
المبحث الثالث: المراكز التعليمية في الأندلس في عهد الحكم المستنصر بالله.	71-65
المساجد.	65
مسجد قرطبة الجامع الجامعة:	66
قصر الخلافة.	67
جامع الزهراء.	67
مكتبة القصر	68
مراكز أخرى.	71
المبحث الرابع: دوره في الجانب المعماري.	78-72
زيادة المسجد الجامع بقرطبة.	72
مسجد مرجان.	76
القصر الغربي بمدينة الزَّهراء.	76
ترميم القناطر.	77
خاتمة	82-80

الملاحق	95-84
قائمة المصادر والمراجع	107-97
الملخص	109